الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والفنون

صفي الدين الأرموي

مجدد الموسيقى العباسية

الدكتور عادل البكري


الناشيء



منشورات وزارة الثقافة والفنــون ـ الجمهورية العراقية

١٩٧٨ سلسلة الاعلام والمشهورين

(٤)

صَفي الدِيـن الارمَويْ

مجدّد الموسيقى العباسية



تأليف

الدكتور عادل البكري

المقدّمة

اشتهر في تاريخ الدولة العباسية عدد كبير من الموسيقيين الذين لعبوا دورا مهما في تطوير الموسيقى العربية وتركوا اثرا بارزا في تراثنا الفني ، ومن بين هؤلاء عباقرة لامعون يعدون قمما شامخة في تاريخ الموسيقى ، جاءوا في عصور متقدمة كابراهيم الموصلي وابنه اسحاق وزرياب والفارابي • وتلت عصرهم فترة طويلة تمتد عدة قرون اصيبت فيها الفنون بالتخلف والانحطاط، وبدأ نجم الدولة بالافول ، وظهر المغول في شرق الامبراطورية ينذرون بسقوطها وكان الناس يتوقعون هذا السقوط بين حين وآخر ، وهنا تظهر قمة شامخة اخرى من قمم الموسيقى العربية ترتفع الى مستوى ابراهيم واسحاق : انه صفي الدين عبدالمؤمن الارموي الذي جاء ليكمل ما بدأه الاوائل في الموسيقى وليضع المؤلفات العديدة في فنونها واسرارها على غرار ما فعل الكندي والفارابي •

لقد بقي الارموي مجهولا عند الكثير من الناس وما ذلك الا لأن العصر الذي عاش فيه هو عصر تأخر وانحطاط وفي عهد خلفاء ضعفاء لا حول لهم ولا قوة ، بخلاف العصر الذهبي الذي عاش فيه ابراهيم الموصلي واسحاق وغيرهما ، عصر الرشيد والمأمون ، اذ كانت الاموال تغدق من خزانة الدولة ، وكان الشعر رائجا ، وحركة

التأليف قائمة على قدم وساق فجاءت اخبار الموسيقيين والمغنين في عشرات المؤلفات من كتب الادب والتاريخ والموسيقى • وما كتاب الاغاني العظيم للاصفهاني الا سجل حافل باخبار هؤلاء ومورد ثر عن تاريخ حياتهم ، وهو الشيء الذي يفتقر اليه عصر الارموي • وهنا يتضح وجه الصعوبة في تأليف كتاب عن هذا الموسيقار ، الامر الذي عانيت منه لقلة المصادر التي تذكر اخباره و تورد تاريخ حياته •

والرجل مهم في حد ذاته ، فهو موسيقار مشهور في زمن الدولتين العباسية والمغولية ، وهو مجدد للموسيقى العربية وباعث لها ومؤلف كتب فيها • كما ان لسيرة حياته اهمية تاريخية وهي معاصرته سقوط الدولة العباسية وروايته في ذلك ، وانقاذه لعدد من اهالي بغداد من القتل وهو في اشد حالات الضعف : حافي القدمين وعليه ثياب وسخة ممزقة وقد علاه الاصفرار ويرتجف من الخوف امام القائد المغولي •

لقد تناول هذا الكتاب جانبا من تاريخ حياة الارموي وعبقريته الموسيقية وبيئته وعصره • ونظرا الى ان موقعه من تاريخ الدولة العباسية هو العصر الاخير اي عصر الانحطاط والسقوط ، كان من المناسب ان اذكر شيئا عن ذلك العصر بجميع اخطائه وسيئاته مع اعطاء وصف لبغداد آنذاك اقرب ما تكون الى واقعها الذي كانت تعيشه ، فهو صورة عنها تكاد تكون حقيقية كما تصورها كتب الخطط والتاريخ • وهذا ما تضمنه الفصل الاول بكامله •

وبما انه عاش فترة السقوط ، اي سقوط بغداد بيد المغول وما سبقها من مؤامرات وفتن وما اعقبها من احتلال اسود بغيض لذلك جعلت فصلا كاملا يشتمل ذلك السقوط المشؤوم تناولت فيه تلك الفترة والحرب المغولية العباسية والدور الذي لعبه الارموي فيها وهو الفصل الرابع • وهذان الفصلان (اي الاول والرابع) من امتع فصول الكتاب واعمقها اثرا في النفس •

اما الفصول الثلاثة المتبقية فهي تبحث في تاريخ حياته وموسيقاه وآثاره الموسيقية •

ولما كان الارموي هو خاتمة الموسيقيين والمغنين العباسيين في بغداد قبل سقوطها هذا فقد جعلت للكتاب ملحقا يتناول جميع الذين اشتغلوا بالغناء والموسيقى ببغداد منذ تأسيسها حتى سقوطها لاكمال البحث حول الموسيقى في هذه المدينة العظيمة وفي عصور حضارتها العباسية المزدهرة •

وبعد ، فارجو ان اكون قد استطعت التعريف بنابغة آخر من نوابغ امتنا العربية ، وساهمت بايضاح جانب آخر مجهول من جوانب تراثنا الخالد • ولله الحكم اولا وآخرا •

المؤلف

الفصل الاول

بغداد
في العصر العباسي الأخير

بلغت بغداد اوج عظمتها في العصر العباسي الاول حيث كان يتربع على عرشها خلفاء اقوياء كانوا يهتمون بالعلم و المعرفة وتوطيد الامن والقضاء على الفتن والاضطرابات ورعاية مشاريع الري والزراعة فتقدمت البلاد وازدهرت الحضارة واصبحت بغداد عروس الدنيا وجنة الارض وسيدة البلاد ، ومجمع اهل العلوم والفنون والآداب ، قصورها شامخة ، وحدائقها وارفة ، ومياهها جارية وخيراتها كثيرة .

ومنذ عصر المعتصم تدخلت العناصر الاجنبية في استلام مقاليد الامور . وتناوب الفرس والاتراك في السيطرة على الحكم ، وكثر تدخل النساء في شؤون السياسة . وحيكت المؤامرات لاختيار خلفاء ضعفاء اهملت على ايديهم مصالح الدولة التي انحدرت في دور من التأخر والانحطاط انتهى الى سقوطها .

ففي العصر الاخير من تاريخ الدولة العباسية ، وعلى وجه التحديد في المائة عام الاخيرة التي سبقت سقوطها بيد هولاكو ، كان الخليفة المستنجد بالله العباسي (٥٥٥ ــ ٥٦٦ هـ) احد الخلفاء

الذين تعرضوا الى المؤامرات في دار الخلافة مرتين ، وقد فشلت اولاهما وهي اغتياله بيد عدد من الجواري ، وانتهت الثانية الى موته ميتة غريبة : اذ اتفق امير الجيش قطب الدين قايماز مع طبيب القصر ابن صفية على ادخال الخليفة الى الحمام اثناء مرضه على الرغم من معارضته لذلك ، وكانوا قد اوقدوا الحمام بشدة ، فادخلوه واغلقوا الباب عليه وهو يستغيث الى ان مات[1] .

اما المستضيء بالله (٥٦٦ ــ ٥٧٥ هـ) فقد احتجب عن اكثر الناس فلم يركب الا مع الخدم ، ولم يدخل اليه غير قايماز . وحوصرت دار الخلافة مرة واغلقت ابوابها وهو معتزل لا يعلم عن ذلك شيئا !

وكان الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ ــ ٦٢٢ هـ) قد غلب عليه في اول الامر استاذ الدار ابن الصاحب مجد الدين ابو الفضل حتى انه كان يدعى له مع الدعاء للخليفة .

وكانت الدولة العباسية آنذاك تحاول ان تسترجع قوتها ونفوذها ولكنها مع ذلك بقيت ضعيفة وعجزت عن ان تساهم في رد الغزوات الصليبية . وعندما كان صلاح الدين الايوبي يتهيأ لفتح القدس طلب من الخليفة الناصر لدين الله ان يدعمه بامدادات عسكرية فارسل اليه الخليفة نجدة لا تزيد عن حملي بعير من النفط لاستعماله في الحرب بيد جماعة من النفاطين الذين يزرقونه على العدو ! ورقعة تتضمن الاذن في اقتراض عشرين الف دينار من

---

(١) الكامل لابن الاثير ــ ج ١١ ص ٣٦٠ .

التجار ينفقها في الحرب ويحيل التجار بها على دار الخلافة • فقبل صلاح الدين النفط واستعفى من الاقتراض من التجار(٢) •

وكان الناصر كغيره من الخلفاء في عزلة عن الناس لا يظهر لهم الا نادرا ، وأكثر من اتخاذ الجواسيس الذين يأتونه بالاخبار من كل مكان، مما جعل البعض من الناس يعتقد ان له كشفا واطلاعا على الغيب ، ونسجوا حول ذلك الاساطير والخرافات • وفي اواخر ايامه ضعف بصره وادركه سهو • ولما عجز عن النظر في شكايات الناس ومطالبهم استحضر امرأة من النساء البغداديات تعرف بست نسيم ، وكانت تكتب خطا قريبا من خطه وجعلها تكتب الاجوبة والرقاع ، وشاركها في ذلك خادم يدعى رشيق• ثم تزايد الامر بالناصر فصارت المرأة تكتب في الاجوبة بما تراه فمرة تصيب ومرة تخطىء • واتفق ان كتب الوزير مطالعة للخليفة فجاءه الجواب وفيه اختلال غير مألوف • وكان الوزير حتى ذلك الوقت لا يتصل بالخليفة ولا يعلم من امره شيئا حتى اعلمه الطبيب صاعد بن يحيى بخبر الخليفة والمرأة والخادم فتوقف الوزير عن العمل باكثر الامور الواردة اليه من الخليفة(٣) •

وكذلك كان المستنصر الذي اعتزل عن الناس فلم يعد يظهر لهم • وعندما توفي لم يشعر بوفاته الا بعض الخدم واقبال الشرابي قائد الجيش الذي لعب دورا كبيرا في تولية المستعصم آخر الخلفاء العباسيين للخلافة وهو غير جدير بها ، وكان من المقرر

---

(٢) النوادر السلطانية ـ ص ١١٨
(٣) تاريخ الحكماء للقفطي ـ ص ٢١٣

الا ينالها لما عرف عنه من الضعف والاستسلام، وان ينالها اخ الخليفة المستنصر الذي عرف بالشجاعة وقوة العزيمة فلما توفي المستنصر كتم الشرابي وجماعته خبر وفاته وعملوا على تولية المستعصم ليكون الامر بيدهم ومن اجل ان يسيطروا على الحكم ، فاخذوا البيعة من اعمامه واقربائه بالاكراه والخديعة واغلقوا ابواب دار الخلافة عليهم حتى اذا انتهوا من اخذ البيعة اشعروا الناس بوفاة المستنصر وتولية المستعصم بعده(٤) •

وقد انصرف المستعصم اثناء خلافته الى اللهو ومعاشرة النساء حتى ان عدد الجواري في قصره بلغ السبعمائة امرأة ، وصرف وقته في الصيد وحضور مجالس الغناء والطرب • يروي ابن الطقطقى ان المستعصم كتب الى بدر الدين لؤلؤصاحب الموصل يطلب منه جماعة من ذوي الطرب لايفادهم اليه ، وكان التتر آنذاك يهددون باحتلال بغداد فوصل رسول هولاكو الى بدر الدين لؤلؤ في الوقت نفسه يطلب منه منجنيقات وآلات للحصار ليفتح بها بغداد فقال بدر الدين : انظروا الى المطلوبين وابكوا على الاسلام واهله(٥) •

ولا شك ان تولى الحكم في الدولة العباسية في عصورها الاخيرة من قبل خلفاء ضعفاء ادى الى تدهور البلاد وانحطاطها وخراب مدنها لاسيما العاصمة بغداد • يروي ابن جبير الذي زار

---

(٤) الحوادث المنسوب الى ابن الفوطي ــ ص ١٥٨ ــ ١٦٠

(٥) الفخري في الآداب السلطانية ــ ص ٤٧

بغداد سنة ٥٨٠ هـ ان هذه المدينة (قد ذهب اكثر رسمها ولم يبق الا شهير اسمها .... فاما الجانب الغربي فقد عمه الخراب واستولى عليه وكان المعمور اولا ، وعمارة الجانب الشرقي محدثة لكنه مع استيلاء الخراب عليه يحتوي على سبع عشرة محلة)[٦] .

وادى ضعف الخلفاء وانشغالهم عن امور الدولة الى اهمال مشاريع الري ولم يهتموا بصيانة السداد على جانبي دجلة ، فكانت الفيضانات تخرب جانبي النهر ولم يعد هناك اي حاجز يقف امام موجات الفيضان العارمة التي كانت تجتاح بغداد وتؤدي الى كوارث شديدة فقد حدث في المائة سنة الاخيرة من حياة الدولة العباسية التي سبقت سقوطها ، وهي الفترة التي كانت فيها البلاد تسير من سيء الى اسوأ ، فيضان عام ٥٦٩ هـ وهو من اخطر هذه الفيضانات حيث انبثقت عدة بثوق في السداد على ضفة دجلة الشرقية شمالي بغداد فتسربت المياه الى السور والخندق وتجمعت خلفهما فخرج الناس الى الخيم خارج المدينة وقد امتلأ جامع السلطان بالماء (ويقع في منطقة العيواضية الحالية) ونبعت المياه من دار الخلافة وهدمت فيها دورا كثيرة، ونبعت من السراديب وامتلأت الشوارع والطرق بمياه الفيضان وتهدمت الدور على ساكنيها . وفي الجانب الغربي دخل الماء الى المستشفى العضدي (ويقع في الكرخ قرب جسر الصرافية الحالي) ، وارتفع الماء ورمى عدة شبابيك من شبابيكه الحديدية فكانت السفن تدخل من الشبابيك

---

(٦) رحلة ابن جبير ـ ص ١٧٢ ـ ١٧٩

الى ارض المستشفى • وزاد الفرات في الوقت نفسه وأغرق القرى والمزارع ووصلت مياهه الى بغداد و احدثت تخريبا في الجانب الغربي اضافة الى تخريبات دجلة [٧] •

ثم حدث فيضان آخر عا م٦١٤ هـ فزادت فيه مياه دجلة والفرات زيادة كبيرة غرقت فيها الرصافة ومشهد ابي حنيفة ، وغرق الكرخ فركب الوزير والامراء وجمعوا الناس لتحصين السدود وظهر الخليفة للناس وحثهم على العمل • ونبع الماء من البلاليع والآبار [٨] •

وحدث مثل ذلك عام ٦٤٦ هـ حيث زادت دجلة زيادة عظيمة ، فغرقت عدة محلات واحاط الماء ببغداد وتهدم السور وغرقت محلة الرصافة ووقع اكثر دورها ، كما وصل الماء الى دار الخليفة وغرق المستشفى العضدي والمشهد الكاظمي وسقطت قطعة من جداره • ونبع الماء من اساس حائط المدرسة المستنصرية ومن مسجد الحظائر (مسجد الخفافين الحالي) وامتنع الناس من التنقل فخرج الوزير مؤيد الدين وحمل حزمة من الحطب وحذا الناس حذوه وصاروا يسدون الثغرات ، فاتفق ان نقصت المياه في دجلة فانشد الشعراء القصائد في ذلك ، ثم زادت مرة اخرى زيادة مفرطة اعظم من الاولى فوقع من السور عدة ابراج ودخل الماء درب السلسلة فلم يبق به دار الا هدمها ، فنجى الناس بانفسهم ، وانهدم سوق المدرسة المستنصرية • وفي الكرخ دخل الماء جامع المنصور والمشهد الكاظمي

---

(٧) المنتظم لابن الجوزي ــ ج ١٠ ص ٢٤٤ ــ ٢٤٧

(٨) الكامل لابن الاثير ــ ج ١٢ ص ٢١٦

فهدم سوره وغطى الضريحين بحيث لم يظهر سوى رؤوسهما، وغطى مقابر الخلفاء[٩] •

اما في عام ٦٥٣ هـ فقد زادت دجلة والفرات في آن واحد واتصلت مياههما وغرق جامع المنصور وسقطت القبة الخضراء التي كان قد بناها ابو جعفر المنصور فوق قصره في المدينة المدورة والتي كان يجلس فيها متنزها • وقيل ان عدد الدور التي تهدمت في جانبي بغداد في هذا الفيضان بلغ اثني عشر الف وثلاثمائة ونيفا وسبعين دارا كما ذكره مؤلف كتاب (الحوادث) •

ثم حدث الفيضان الاخير سنة ٦٥٤ هـ اي قبل غزو هولاكو بسنتين ، وكانت قد انفتحت فتحة كبيرة في سدة النهر عجز ولاة الامور عن تداركها • فركب الوزير لمعالجة الامر ومعه ارباب الدولة واخذ الوزير حزمة شوك لسد الثغرة ، وفعل الناس مثل ذلك ولكن المياه كانت قوية فجرفتهم وانهزم الناس والماء في اثرهم فاحاط ببغداد وامتلأت الاسواق والدور بالمياه • وخرج الماء من حيطان الدور والمنافذ وامتلأت دار الخليفة كلها ما عدا الدار الشاطئية فانتقل من بها الى السطوح وتعذر الوصول الى دار الخليفة الا في سفينة او سباحة • ودخل الماء الى ديوان الزمام وليس له درج فصار من بها واقفا وبلغ الماء الى صدره • وحمل الناس اطفالهم على اكتافهم خشية الغرق وهم يستغيثون ويطلبون النجدة • وكانت السفن والاكلاك تسير في الازقة والدروب وحدثت

(٩) الحوادث ص ٢٣١ والعسجد المسبوك ص ٥٦٥

خسارة كبيرة في الأرواح والممتلكات • وصلى الناس عدة جمع في المدرسة المستنصرية وكان الناس يحضرون اليها بالسفن فامتلأت المدرسة واغلق بابها فصار الناس يصلون صفوفا في السفن[10] •

وعند النظر الى حالة بغداد من جانب آخر نجد أن الفوضى كانت تضرب اطنابها في العصر العباسي المتأخر، وكان التفسخ الخلقي على اسوأ درجاته ، ورجا ل الحكم في عزلة عن الشعب ، وادى ذلك الى ظهور طبقة من الناس تستغل هذا الوضع اسوأ استغلال وهم العيارون والشطار الذين كانت لهم جذور تاريخية تمتد الى اواخر القرن الثاني الهجري غير انهم شكلوا ظاهرة اجتماعية بارزة في هذه الفترة ، وظهر منهم شقاة تزعموا الحركة وكونوا لهم جماعات تسطو على الدور وتنهب الأسواق في وضح النهار ، وعجزت الدولة عن مقاومتهم فخافهم الناس لكثرة اعتداءاتهم • واستمرت اعمالهم حتى قبيل سقوط بغداد وصاروا يقهرون الناس على اموالهم ، ودخلوا البيوت فجرحوا وفتكوا • ويروى من حوادث عام ٦٥٣ هـ ان العيارين ببغداد كثر شغبهم فكانوا يخطفون عمائم الناس ويأخذون ثيابهم من الحمامات وقتلوا جماعة من باب النوبى فاجتهد (الشحنة) في طلبهم •[11]

وقد يكون للتردي السياسي والاجتماعي اثر في ظهور هذه الحركات في العاصمة بغداد كتعبير عن سخط الشعب تجاه الوضع

---

(١٠) الحوادث ص ٣١٧ والعسجد المسبوك ص ٦١٤ ـ ٦١٦ ، وشذرات الذهب ج ٥ ص ٢٦٤

(١١) العسجد المسبوك ص ٦١١

الذي تعيشه الدولة ، واحتجاجا ضد الدخلاء الاجانب الذين يتحكمون في توجيه دفة الحكم • ويؤيد ذلك اشتراك العيارين في الازمات والاحداث السياسية التي تمر بها الدولة العباسية كاشتراكهم في الدفاع عن بغداد في حصارها الذي حدث عام ٥٥٢هـ وقد اظهروا آنذاك بسالة وشجاعة في مهاجمة الجيش السلجوقي • وكان صبيان بغداد ينهبون السلاجقة ويهاجمونهم بالمقاليع وزراقات النار ويتلقون النشاب بميازر الصوف • وضرب الصبيان اميرا منهم بقارورة نفط فرمت به الفرس فقتلوه[١٢] •

كما ان عدم الاستقرار السياسي يجعل المجتمع البغدادي في حالة اضطراب مستمر وسرعان ما تنطلق الثورات الشعبية ضد البويهيين او السلاجقة او دفاعا عن الخليفة مثلما حدث عام ٥٣٠ هـ في الدفاع عن الراشد عندما طالبه السلطان مسعود بمبالغ من المال تقدر بـ ٤٠٠ر٠٠٠ دينار كانت مستحقة على الخليفة الذي قبله •

وكذلك ثورتهم في نهاية عام ٥٥١ هـ ضد السلاجقة اذ قاتلوهم بالسيوف والنبال والحجارة وزراقات النار • وكان صبيانهم يعومون في نهر دجلة للوصول الى سفن السلاجقة لاغراقها •

غير ان كثيرا من هذه الثورات التي يقوم بها العامة يأخذ شكل النزاع الطائفي فتحدث فتن طائفية يذهب ضحيتها الكثير من الابرياء، او يأخذ شكل النزاع الاقليمي بين محال بغداد ودروبها فيهجم اهل حي من الاحياء على اهالي الحي الآخر وتحدث بينهم

---

(١٢) المنتظم لابن الجوزي ج ١٠ ص ١٦٨ — ١٧٤

فتن وحروب حقيقية . فمن ذلك ما حدث عام ٦٥٣ هـ بين اهل الكرخ ومحلة باب البصرة فقد نشبت الاصطدامات بينهم وقتل من الفريقين عدد كبير فارسل الجند لمنع الفتنة والحجز بين المتقاتلين « ثم اخذوا خطوط المشايخ من اهل المحلتين بكف الجهال عن الشر ، ونصبت اخشاب على ابواب المحلتين لصلب من يثير الفتنة فكفوا انفسهم ، ثم عادوا الى ذلك في ذي القعدة ، فخرج العسكر لكفهم عن ذلك ومنعهم فلم يمتنعوا وقتل بينهم خلق كثير »[١٣].

وكذلك ما حدث بين اهل محلة الرصافة وبين محلة ابي حنيفة والخضيريين (وتقع قرب محلة الصليخ الحالية) وقد انتصر فيها اهل محلة ابي حنيفه والخضيريين على اهل الرصافة « وطردوهم الى باب المحلة وركبهم السيف فدهمهم الليل فازدحموا للدخول فمات منهم جماعة نحو الثلاثين نفرا وحصروهم ومنعوا ان يدخل اليهم شيء حتى الماء من دجلة »[١٤] .

وحدث مثل ذلك ايضا عام ٦٥٤ هـ اي قبل سقوط بغداد بسنتين وكان جيش المغول في ايران يرسل التهديدات الى الخليفة ويحشد قواته لتغير على القرى والمدن الآمنة داخل العراق وتعيث بها فسادا ، والقوم ببغداد غير مكترثين تشغلهم الفتن ، فقد حدث في تلك السنة ان قتل اهل الكرخ رجلا من محلة (قطفتا) فحمله اهله الى دار الخلافة ودخل جماعة من الخدم الى الخليفة وعرفوه ذلك ونسبوا الى اهل الكرخ كل فساد فامر بردعهم فركب الجند

---

(١٣) الحوادث ص ٢٧٦
(١٤) المصدر نفسه ص ٢٩٨

اليهم وتبعهم العوام ونهبوا محلة الكرخ واحرقوا عدة مواضع ... وعظمت الحال في ذلك فخوطب الخليفة في امرهم فامر بالكف عنهم ونودي بالامان(١٥) .

واضافة الى كل ذلك فقد كان الوضع الاقتصادي في الدولة في غاية التدهور وكثيرا ما تتأخر رواتب الجند لعدم استطاعة الحكومة توفير المال اللازم لهم فكان الجند يلجأون الى الشغب والاعتداء ومحاصرة دار الخلافة ويهددون الخليفة نفسه .

وعلى الرغم مما كانت تعانيه بغداد في السنين الاخيرة من الحكم العباسي من مشاكل الفيضان والفوضى والتأخر فانها كانت لا تزال عروس الدنيا وسيدة البلاد ، وكانت تسترجع حيويتها بين حين وآخر فتمتلىء اسواقها بانواع البضائع من الهند والصين والشام واليمن وافريقيا ويكتظ سوق النخاسين بالجواري الجميلات على اختلاف اشكالهن والوانهن ، وبالغلمان على اختلاف اعمارهم واجناسهم . وتعود الابنية شامخة والشوارع مزدحمة بالناس . وتسمع اصوات الموسيقى والغناء في الازقة منبعثة من دورها ومجالسها . غير انها لم تكن كما كانت على زمن الرشيد والمأمون بل اقل حضارة واكثر فوضى . كان يبدو التعب على وجهها الذي ما زال يحتفظ بمسحة من الجمال عندما جاءها صفي الدين الارموي صغيرا يطلب العلم فيها ، وعاش في مساجدها وقصورها وتجول في اسواقها وطرقها . فان رغبت — قارئي العزيز — ان ترى بغداد

---

(١٥) المصدر نفسه ص ٣١٤

عاصمة الخلافة العباسية كما كانت آنذاك فستجدني آخذا بيدك لاريك معالمها واعطيك فكرة حية عنها : لأبدأ معك من طرفها الشمالي وهو جهة (العيواضية) التي كان يطلق عليها آنذاك اسم (المخرم) ، فهناك كانت دور السلطنة السلجوقية وهي قصور فخمة تمتد على شاطىء النهر في المنطقة التي تشغلها الآن مدينة الطب ، غير انه زال اثرها في القرن السادس الهجري وبقيت في موضعها حدائق وبساتين . وتجد بالقرب منها جامعا فخما هو جامع السلطان . فاذا تقدمت من سور المدينة الذي يحيط بها بشكل مستطيل فستجد اقرب باب منك هو الباب الشمالي الذي كان يسمى آنذاك باب السلطان وهو باب المعظم الحالي وتدخله على بركة الله الى سوق تسمى سوق السلطان فتثيرك الضوضاء التي تسمعها واصوات الطرق على الحديد ، وتجد السيوف والرماح والدروع معلقة على ابواب الحوانيت معروضة للبيع ، وتجد انواع السلع التي يستعملها المسافرون والفرسان من سروج ولجم وقرب للماء وغيرها ، والناس على اختلاف اشكالهم وازيائهم مزدحمون يساومون على بضائعها ويتجولون بين حوانيتها . ثم تواصل سيرك جنوبا وتجد الى يمينك دار المسناة التي انشأها الخليفة الناصر لدين الله وهي اسفل وزارة الدفاع الحالية ويمتد بك الطريق الى سوق اخرى هي سوق الثلاثاء وهي اقدم سوق في بغداد وتقع في المحلة المسماة باسمها اي محلة سوق الثلاثاء التي تمتد من محلة الميدان الحالية الى باب الاغا في الوقت الحاضر . وتجد في هذه السوق باعة البز والاقمشة ويمتد منها سوق القصارين

والصباغين وقد نشروا اطوالا من الاقمشة الملونة الصفراء والحمراء والزرقاء والسوداء على عرض الشارع وطوله والناس يمرون من تحتها كانها اعلام منشورة في يوم مهرجان او في ايام عيد دائم • ويشغلك ازدحام الناس رائحين غادين في تلك السوق ومن خلال فروعها التي تضم فيجنباتها حوانيتالخياطين والعطارينوالحلوانيين والقلائين والشوائين والهرائسيين وباعة الاشربة من اسكنجبيل وجلاب ، وقد يلفت نظرك حانوت يجلس في صدره شيخ ذو لحية بيضاء وعليه طيلسان طويل والى جانبه كتب موضوعه فوق صندوق صغير وقد بدى عليه الوقار وهو يشير على شخص ضئيل جلس امامه فتسأل عنه فيقال لك هذا حانوت الطبيب فلان • وقد تجد قريبا منه حانوت حجام • وتنظر هنا وهناك فتجد بعضا منالجواري ملفلفات بازرهن المصنوعة من الحرير والموصلين ، ضاحكات مرحات وهن يمررن من امامك مسرعات • وترى الناس بعمائمهم وقلانسهم يرفلون بثيابهم الطويلة وكلهم ملتحون فمن المعيب ان يحلق الرجل لحيته • اما الغلام الذي لم تنبت لحيته بعد فهو (الامرد) الذي ينتظر ان تطول لحيته يوما فيتساوى مع غيره • وتجد السوق تعج بالحركة وكل من فيها ماض لشأنه ، بعضهم يمتطي فرسا او يحمل سيفا في وسطه • وقد يصادفك امير او شخص خطير يرتدي ثيابا سودا ويسير والسيافون والحرس بين يديه يفسحون له الطريق وهم بثيابهم المزركشة •

فاذا ما سرت يمينا باتجاه مشرعة القطانين فستقترب من نهر دجلة وهناك القطانون والحلاجون والندافون ، وستجد جسرا

على قوارب هو جسر سوق الثلاثاء ويقع قرب بناية المحاكم الحالية في نهاية شارع المتنبي يقطع نهر دجلة ليصل الى الجانب الغربي قرب مصب نهر عيسى جنوب المدينة المدورة التي بناها ابو جعفر المنصور . اما اذا واصلت سيرك في محلة سوق الثلاثاء فستصل الى درب دينار الشهير وكانت فيه بيوت بعض افاضل القوم ويسمى اليوم شارع المأمون ، وستقابلك مدرسة القرآن ووراءها المدرسة المستنصرية الفخمة التي بناها الخليفة المستنصر بالله ، وستشاهد سوقها وهي تزدحم بالوراقين وباعة الكتب وهناك تعثر على كتاب المجسطي وكتب ارسطو في الفلسفة ، وكتاب الموطأ في الفقه، وتعثر على المقالات العشر في العين لحنين وكتب الاقراباذين وكل ما يطلبه الطلبة . وتجد في ركن من السوق حانوتا يتهافت عليها طلبة الطب والفلك وفيها قوارير فحص البول وآلات الجراحة والاسطرلابات التي تراقب بها النجوم وهي معلقة كما تعلق القمصان والاحذية الآن في السوق نفسها بباب المستنصرية . وتنظر فترى البيمارستان وهو مستشفى لطلاب واساتذة المدرسة وهناك ترى الساعة الشهيرة مرتفعة امامك في الايوان وهي ساعة المستنصرية .

وتواصل سيرك جنوبا في منطقة كان يسكنها بعض الامراء والقواد فتصل الى المدرسة الاخرى الشهيرة وهي المدرسة النظامية التي تنسب الى نظام الملك السلجوقي وتجد بناءها قديما متصدعا ليس كبناء المستنصرية ، وهي تقع قرب مسجد الحظائر الذي كان مشيدا في موقع جامع الخفافين الحالي . ثم تنتهي في سيرك الى

سوق تختلف عن الاسواق السابقة وهي سوق الريحانيين وفيها يباع الريحان وهو النبات ذو الرائحة العطرة ، وكان العباسيون يتهادونه للشم وللاستعمال مع النقول في جلسات الشرب واللهو ،وكذلك النعناع الذي يدخل في طبخ اطعمتهم مثل (التفاحية) وهو طعام يعمل من اللحم السمين المطبوخ مع البصل واللوز المقشر يضاف اليه عصير التفاح وينضج على النار ، ومثل الحصرمية التي تعمل من اللحم المطبوخ بعصير الحصرم يضاف اليه الباذنجان واليقطين والبصل • وكذلك المضيرة وتعمل من اللحم الذي يغلى باللبن ويضاف اليه البصل والمصطكي والدارصيني ، فكل هذه الاطعمة يضاف اليها النعناع واحيانا الكزبرة والكمون والزنجبيل وغيره[١٦]

وفي هذه السوق يباع الورد والنرجس والياسمين ، وتباع الفاكهة كالتفاح والاترج (من اصناف الحمضيات) والطلح (اي الموز) والتين والاجاص وغير ذلك • وكانت هذه السوق تقع في ما يلي سوق الثلاثاء اي في موقع سوق الاقمشة وخان مرجان الحالي •

فاذا ما اتجهت الى يمينك فستجد طريقا الى النهر أو مشرعة وعلى جانبيها دكاكين باعة ابر الخياطة والمغازل والسفافيد ويطلق عليها مشرعة الابريين، اما اذا واصلت السير الى نهاية سوق الريحانيين فسيلفت انتباهك سور مرتفع انيق البناء يحيط بما يشبه المدينة الصغيرة ، وتسمع صهيل خيل وقعقعة سلاح وترى جندا وحرسا • وتجد من يقول لك انك وصلت الى دار الخلافة فاذا كنت راكبا

---

(١٦) الطبيخ محمد بن الكريم البغدادي ــ ص ١٥ ــ ٢٣

فستترجل عن فرسك احتراما لمقام الخليفة . ويمتد سور دار الخلافة هذا من اول شارع النهر قرب نهاية شارع المصارف الحالي على حافة نهر دجلة ويسير كنصف دائرة ينطبق قطرها الذي يبلغ طوله كيلومترا واحدا على دجلة وينتهي جنوبا عند النهر مرة اخرى قرب جامع السيد سلطان علي الحالي ويحصر أرضا واسعة تشتمل على قصور الخلفاء والامراء ، وبساتين مثمرة ومنتزهات للخلفاء ، ومعسكرات للحرس والجند . ويوجد على السور تسعة ابواب اولها من الشمال باب الغربة الذي ستجد بالقرب منه شجرة غرب كبيرة وهي شجرة غير مثمرة ذات اغصان طويلة ولذلك سمي الباب باسمها . ثم تسير قليلا حول السور وانت لا تزال في نهاية سوق الريحانيين أي في منطقة الشورجة حاليا فتجد على السور شرفة فخمة تسمى (منظرة الريحانيين) تطل من جهة على سوق الريحانيين ومن جهة اخرى على دار الخلافة وهي موضع مرتفع يجلس فيه الخليفه للنزهة وليشاهد السوق وهي تعج بالحركة الدائبة . وفي رمضان كانت تعقد تحتها مجالس الوعظ للعامة فلا يبقى فيها موضع لموطىء قدم . وهناك بالقرب منك تجد بابا في السور يسمى باب بدر . فاذا ما واصلت سيرك وانت تدور حول دار الخلافة فستجد ابوابا اخرى ومن بينها باب العتبة الذي يأتي اليه الملوك والامراء لتقبيل عتبته قبل زيارتهم للخليفة .

وتحس في نفسك رغبة في الدخول الى دار الخلافة والاطلاع على قصورها ومعالمها . وتنظر فتجد نفسك بالقرب من سوق الريحانيين وامامك باب بدر ، وتتقدم من حرس الباب تطلب منهم اذنا بالدخول فيعترضك احدهم وهو يسألك : ما غرضك من الدخول ؟ وهنا يخطر ببالك صاحبنا الارموي فتقول : اريد زيارة صفي الدين الارموي وهو يعمل هنا في دار الخلافة ! ويهز احد الجند رأسه وهو يقول : نعم ... صفي الدين عبد المؤمن بن يوسف . ثم يشير عليك بمراجعة نائب الحاجب وهو جالس على الدكة فتذهب اليه وتنظر فتجد شخصا عليه سيماء الصرامة والذكاء ويرتدي الملابس السوداء ويضع على رأسه عمامة صغيرة سوداء ، فيسألك عن غرضك من الزيارة ، ثم يأخذك في دهليز انيق مزين بالنقوش والآيات القرآنية ومنه الى غرفة حاجب القصر ، وترى امامك شيخا ذا لحية كبيرة وهو يرتدي كصاحبه الملابس السوداء ويضع على رأسه عمامة أنيقة ، ويجلس في صدر الغرفة على فرش وثيرة وبين يديه الدواة والاوراق(١٧) وبعد أن يطلع على قصدك من الزيارة يطرق قليلا ثم ينظر اليك نظرة ملؤها التعجب والاستنكار وهو يشير اليك بيده ويقول : « وتريد هكذا ان تدخل الى دار الخلافة ؟ » ، وتنظر الى نفسك فلا تجد ما يدعو الى هذا

---

(١٧) المنتظم لابن الجوزي ـ ج ١٠ ص ٢٣٠

الاستغراب : فملابسك بيضاء نظيفة وعلى طراز ملابس القوم في ذلك العصر ، وعمامتك جميلة وتناسب المقام فماذا ينكر فيك وتقول له : وماذا في الأمر ياسيدي ؟ فيقول لك : « اعلم ــ اصلحك الله ــ انه لا يسمح لاحد مهما كان ان يدخل دار الخلافة الابالملابس السوداء » • ثم ينظر الى قدميك ويقول : « ولا يسمح لاحد ان يدخل وهو يحتذي نعلا ولا خفا احمر فان ذلك مخالف لمراسيم دار الخلافة »[18] •

وتذعن للامر وتعود الى بيتك فتلبس الملابس السوداء وتحتذي حذاء من جلد أسود يلف قدميك ، معقوفا في مقدمته الى اعلى ، وتبخر ثيابك بالبخور وتمشط لحيتك ، وترجع الى باب بدر مرة اخرى فتقابل الحاجب ثانية فيأذن لك عندئذ ، ويرافقك احد مساعديه وهو يدلك على معالم الدار ويقول لك : هـذا (رواق عزيز) وهو احد اروقة دار الخلافة الذي تطل عليه منظرة الريحانيين من الخلف • وتنظر امامك فتجد ساحات شاسعة مزروعة بحدائق ملتفة الاشجار ، وتجد على يمينك بين منظرة الريحانيين وباب الغربة قصرا فخما مربع الشكل هو دار الريحانين الذي كان قد شيده الخليفة المستنجد بالله وزرع في وسطه بستانا للفاكهة • وفي هذا القصر كان الخلفاء العباسيون في العهد الاخير يقضون

(١٨) رسوم دار الخلافة للصابيء ــ ص ٧٤

معظم اوقاتهم متمتعين ببساتينه وحدائقه • ومقابل القـــصر ، في حديقة وارفة الشجر ، تجد دارين متقابلتين للكتـــب ، مزخرفتـــين بالنقوش ، وعلى مدخليهما كتابات واشعار تتضمن تأريخ بنائهما • فيأخذك مساعد الحاجب الى احدهما ويقول لك : هنا تجد صاحبك صفي الدين • فتدخل الى دهليز الدار ومنه الى غرفة تلقى فيهـا شخصا مكبا على كتاب بين يديه ينسخ منه على اوراق مبعثرة ••• انه صفي الدين الارموي الذي اشتهر بنسخ الخطوط فاختاره الخليفة المستعصم ليشرف على دار الكتب هذه ، والذي اشتهر امره بعدئذ بالموسيقى فصار يحضر مجالس الغناء فيقصور الخليفة• فترى من هو الارموي النابغة هذا ؟

الفصل الثاني

من هو صفي الدين الأرموي ؟

هو صفي الدين عبدالمؤمن بن يوسف بن فاخر الارموي البغدادي الموسيقار العالم الشاعر الاديب . لمع نجمه في العراق في اواخر الدولة العباسية واوائل العهد المغولي . ويلتبس اسمه باثنين من العلماء المعروفين في تلك الفترة اولهما صفي الدين محمود بن محمد الارموي ، المتوفى سنة ٧٢٣ هـ وكان فقيها هذب كتاب (المحكم والمحيط الاعظم) لابن سيده وقد جاء ذكره في كشف الظنون ، وثانيهما صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق المتوفى سنة ٧٣٩ هـ ، وكان مدرسا في المدرسة المستنصرية وله مؤلفات منهـا كتاب (تحرير المقرر) وكتاب (الايضاح والبيان) وغير ذلك .

والارموي نسبة الى أرمية (بضم الهمزة) وهـي مدينـة باذربيجان تقع على بعد ٢٩٣ كيلومترا من تبريز ويقول عنها ياقوت في معجمه انها مدينة عظيمة قديمة وانه رآها في سنة ٦١٧ هـ وهـي كثيرة الخيرات واسعة الفواكه والبساتين صحيحة الهواء كثـيرة المـاء[1] .

---

(١) معجم البلدان ـ باب الهمزة .

وقد نبغ ببغداد عدد من اهل ارمية ممن اشتهر بالعلم والادب والفضل ، واستوطنوا فيها وساهموا في حضارتها العربية الزاهرة منهم (غير من ذكرناه) :

ابو الغنائم غانم بن حسين الارموي . وكان فقيها مناظرا جاء الى بغداد ودرس فيها ثم رحل الى نيسابور وتوفي سنة ٥٢٥ هـ وقد ورد ذكره في طبقات الشافعية للاسنوي(٢) .

وابو بكر محمد بن الحسين الارموي . جاء الى بغداد وتفقه في المذهب الشافعي وسمع الحديث فيها وتوفي سنة ٥٣٧ هـ وكان يشتبه اسمه مع فقيه آخر كان يعيش في بغداد ايضا يقال له محمد ابن الحسين الارموي ، وقد ورد ذكرهما في طبقات الشافعية للاسنوي .

ومنهم القاضي ابو الفضل محمد بن عمر الارموي . وقد ولد ببغداد سنة ٤٥٩ هـ وذكره ابن الجوزي في كتابه (المنتظم) وكانت وفاته سنة ٥٤٧ هـ .

ومنهم ايضا ابو الطيب نعيم بن مسافر الارموي ، وكان عالما فاضلا فقيها ورعا تفقه ببغداد وسمع الحديث بها ، ذكره ابن السمعاني في (الذيل) .

ومنهم ايضا تاج الدين محمد بن الحسن الارموي وكان من اكبر تلامذة الامام فخر الدين الرازي ، بارعا في العقليات وقد

---

(٢) طبقات الشافعية ـ ج ١ ص ١٠٣

استوطن بغداد وكان مدرسا بالمدرسة الشرفية التي بناها شرف الدين اقبال الشرابي قرب باب المعظم الحالي ، وتوفي ببغداد في سنة ٦٥٣ هـ على الارجح ، وقد جاء ذكره في كتاب (الحوادث) المنسوب الى ابن الفوطي .

غير ان اشهر هؤلاء هو صفي الدين عبدالمؤمن بن يوسف الارموي الذي نحن بصدده وذلك لنبوغه بعدة علوم وفنون لا سيما الموسيقى واشتهاره في طول البلاد العباسية وعرضها . وقد ولد صفي الدين الارموي في نحو سنة ٦١٣ هـ (١٢١٦ م) وقدم الى بغداد في صغره فنشأ فيها نشأة عربية واهتم بالثقافة العربية وعكف على دراسة الخط العربي بشتى فنونه حتى اصبح من رجاله المعدودين في التاريخ .

ولا نعلم بالضبط متى قدم الارموي الى بغداد[٣] غير ان هناك روايات مختلفة منها رواية الدهلي التي يقول فيها انه « ورد بغداد في زمن المستعصم ابي احمد ونزل في رباط ابن النيار وكتب له مصحفا بخط منسوب . ووصل الى المستعصم فتعرف اليه به وجعله من ملازمي الباب ، يكتب المصاحف ويعمم اولاد المستعصم ، ثم بلغ عنده ما لم ينله احد من المقربين »[٤] .

---

(٣) ان الحقائق التاريخية التي تؤكد ان الارموي قدم صغيرا الى بغداد تخالف ما جاء به المستشرق فارمر في كتابه (تاريخ الموسيقى العربية) من انه ولد ببغداد وان جده كان قد نزح من ارمية .

(٤) الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان – للعزاوي – ص٢٦

ويعتقد ان رواية العز الاربيلي[٥] هي اقرب الى الحقيقة حيث قال عن الارموي انه « كان كثير الفضائل ويعرف علوما كثيرة منها : العربية ونظم الشعر ، وعلم الانشاء كان فيه امة ، وعلم التاريخ ، وعلم الخلاف ، وعلم الموسيقى . ولم يكن في زمانه من يكتب الخط المنسوب مثله وفاق فيه الاوائل والاواخر وبه تقدم عند الخليفة . وكانت آدابه كثيرة وحرمته وافرة واخلاقه حسنة. واجتمعت به في مدينة تبريز في سنة ٦٨٩ هـ واخبرني فقال : وردت بغداد صبيا واثبت فقيها بالمستنصرية ، شافعيا ، في ايام المستنصر . واشتغلت بالمحاضرات والآداب والعربية وتجويد الخط فبلغت فيه الغاية . ثم اشتغلت بضرب العود فكانت قابليتي فيه اعظم من الخط ، لكن اشتهرت بالخط ولم اعرف بغيره في ذلك الوقت .

ثم ان الخلافة وصلت الى المستعصم فعمر خزانتي كتب متقابلتين برواق عزيز (وهو أحد اروقة دار الخلافة في العصر العباسي الاخير ويقع في منطقة الشورجة الحالية) وامر ان يختار لهما كاتبان يكتبان ما يختاره . ولم يكن في ذلك الوقت افضل من الشيخ زكي الدين[٦] وكنت دونه في الشهرة فرتبنا في ذلك . ولم

---

(٥) وهو الطبيب والمؤرخ عز الدين حسن الاربيلي الذي جاءت روايته هذه واخباره عن صفي الدين الارموي بتصرف بسيط في كل من فوات الوفيات ومسالك الابصار في ممالك الامصار وفي ذيل ثمرات الاوراق لابن حجة الحموي وغيرها . ونثبتها هنا كما جاءت في اكثر هذه المصادر .

(٦) وهو الشيخ زكي الدين عبدالله بن حبيب المتوفى سنة ٦٨٣هـ وكان من اساتذه الخط العربي ومن المجودين فيه .

يعلم الخليفة انني احسن الضرب بالعود ، وكانت ببغداد مغنية تعرف بـ (لحاظ) فائقة الجمال ، تغني جيدا ، فاحبها الخليفة واجزل لها العطاء فكثر خدامها وجواريها واملاكها ، فاتفق انها غنت يوما بين يدي الخليفة بلحن طيب غريب فسألها عنه فقالت هذا لمعلمي صفي الدين فقال الخليفة علي به . فاحضرت بين يديه وضربت بالعود فاعجبه وامرني بملازمة مجلسه ، وامر لي برزق وافر وخير جزيل غير ما كان ينعم به علي وصرت اسفر بين يديه واقضي للناس الحوائج . وكان لي مرتب في الديوان كل سنة خمسة الاف دينار يكون عنها دراهم مبلغ ستين الف درهم ، واحصل في قضاء اشغال الناس مثلها واكثر . وحضرت عند هولاكو وغنيته فاضعف لي ما كان من الرواتب ايام المستعصم . واتصلت بخدمة الصاحب علاء الدين عطا ملك واخيه شمس الدين ووليت لهما كتابة الانشاء ببغداد ،ورفعاني الى رتبة المنادمة وضاعفا علي الانعام والاحسان» .

فاستنادا الى هذه الرواية يكون الارموي قد جاء الى بغداد صبيا في خلافة المستنصر بالله واثبت فقيها (اي طالبا) بالمستنصرية . ومن المعلوم ان المستنصر فرغ من بناء المدرسة المستنصرية سنة ٦٣١ هـ ، فيكون وجوده في بغداد ودخوله المستنصرية ليس قبل سنة ٦٣١هـ ، وكان آنذاك في سن الدراسة .

واشتهر الارموي في اول امره بالخط والكتابة . وكان المستعصم ، آخر الخلفاء العباسيين ، قد امر بانشاء مكتبة في الجهة الشمالية من دار الخلافة تتكون من قسمين متقابلين بينهما دهليز ،

وجعل كلا منهما في غاية الجمال والتنسيق ونقل اليهما نفائس الكتب من سائر العلوم وكتب على واجهة القسم الاول :

انشــأ عمارتهــا خليفــة عــــصره
لا زالــت الامــلاك مــن انصــاره
مســـــتعصم باللــه مــن اوصافــه
جمــع العلــــوم بليلــه ونهــاره

وكتــب عــلى واجهــة الثاني:

خليفــة الله قــد اكملــت بنيتهــا
فليس في وقتــها شيء يدانيهــــا
اودعتها مــن عقول الناس ما سمحت
به النفوس وابــدت مــن معانيها[٧]

وصار الارموي مشرفا على احد هذين القسمين وذلــك لاجادته الخط العربي واشتهاره بنسخ الكتب الجميلة وتزويقــها الذي كان مثار اهتمام الادباء آنذاك • وظل قائما بعمله هذا حتى زمن سقوط الدولة العباسية ونهاية حكم المستعصم •

اما القسم الآخر من المكتبة فقد تداولته الايدي واشرف على ادارته اكثر من واحد من كبار الخطاطين والادباء •

ويبدو ان مهنة الخط والانشاء لازمت الارموي حتى بعــد

(٧) العسجد المسبوك ــ ص ٥١٦٠

اشتهاره كموسيقار فقد ظل يعمل في المكتبة الى جانب عمله في الموسيقى • ويروي ابن الطقطقى ان صفي الدين حدثه انه عندما كان مسؤولا عن خزانة الكتب هذه ، كان يجلس في المكتبة ينسخ ما يريده الخليفه منه من كتب ، وكانت المكتبة الاولى وقتئذ باستلام صدر الدين ابن النيار[٨] • فيأتي الخليفة لزيارة المكتبة ليجلس على مرتبة خاصة به بسطت عليها ملحفة لترد عنها الغبار • قال الارموي : فكنت مرة مشغولا بالنسخ فجاء خادم صغير ونام قريبا من المرتبة المذكورة واستغرق في النوم « فتقلب حتى تلفف في تلك الملحفة المبسوطة على المرتبة ، ثم تقلب حتى صارت رجلاه على المسند ، قال وانا مشغول بالنسخ ، فاحسست بوطء في الدهليز ، فنظرت فاذا هو الخليفة يستدعيني بالاشارة ويخفف وطأه !! فقمت اليه منزعجا وقبلت الارض ، فقال لي : هذا الخويدم الذي قد نام حتى تلفف في هذه الملحفة وصارت رجلاه على المسند متى هجمت عليه حتى يستيقظ ويعلم اني قد شاهدته على هذه الحال تتفطر مرارته من الخوف • فايقظه انت برفق فاني سأخرج الى البستان ثم اعود • قال : وخرج الخليفة فدخلت الى الخويدم وايقظته فانتبه ثم اصلحنا المرتبة ثم دخل الخليفة »[٩] •

---

(٨) هو ابو المظفر صدر الدين علي بن النيار مؤدب الخليفة المستعصم الذي قربه اليه بعد خلافته واسند اليه النظر في امور المدرسة المستنصرية ثم ولاه مشيخة الشيوخ في الدولة وعرض عليه الوزارة فرفضها . وعند احتلال هولاكو لبغداد امر بقتله فقتل سنة ٦٥٦ هـ .

(٩) الفخري في الآدب السلطانية ـ ص ٣٣٣

وقد ذكر جميع المؤرخين الذين تناولوا سيرة الارموي انه كان بارعا بالخط مشتهرا به • وجاء في رواية الدهلي انه « له النظم الرائق والخط الفائق • وكان مليح الشكل عذب الاخلاق ، ذا مروءة وكرم نفس ••• كتب عليه ياقوت المستعصمي وابن السهروردي »[١٠] •

وياقوت المستعصمي هو جمال الدين ياقوت الرومي الكاتب ، المتوفى سنة ٦٩٨ هـ والذي كان يسمى (قبلة الكتاب) ، وكان الخليفة المستعصم قد اشتراه صغيرا ورباه بدار الخلافة فسمي المستعصمي ، وتعلم الخط المنسوب على صفي الدين الارموي • والخط المنسوب هو الخط الذي ينسب الى الخطاطين المشهورين كابن البواب وابن مقلة •

اما ابن السهروردي فهو شمس الدين احمد بن يحيى البكري السهروردي الكاتب المشهور ، المتوفى سنة ٧٤١ هـ وكان كاستاذه الارموي مشتهرا بالموسيقى والخط المنسوب وقد اسس مشيخة فيهما •

ومما ذكر عن الارموي انه اشتهر بنظم الشعر ايضا وقد ذكر ذلك العز الاربيلي وغيره ، ومن شعره قوله :

لحسنك من كل العيون نصيب
وانت الى كل القلوب حبيب

---

(١٠) الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان ـ ص ٢٦

وذكر الدهلي انه كانت له معرفة بسائر العلوم وقد غلبت عليه الحكميات (الفيزياء) والرياضيات (وربما كان سبب ذلك هو اشتغاله بعلم الصوت ، وذبذبات الاوتار) ، وانه نقل عن ابن سيدانا اليهودي وهو كاتب (محاسب) ، وكان مقصوده منه ان يعينه في الحساب ولم يلزم بيده دينارا ولا درهما ، ذكر انه كان خرجه في سنة (٣٠٠٠٠٠ دينار عوال)... وقد فوض اليه هولاكو نظر الاوقاف بجميع العراق وصدورها . ثم توصل الخواجه نصير الدين الطوسي بالجوينيين (عطا الجويني وشمس الدين الجويني) وابتاع منه (من الارموي) صدرية الوقف بسبعين الف دينار رائجا وبان على الائمة (ائمة الجوامع) واهل الأوقاف فقده لانه كان محسنا اليهم بخلاف من ولي بعده[11] .

وكان الفقه الشافعي على رأس العلوم التي اهتم الارموي بدراستها فقد التحق بالمستنصرية فور وصوله الى بغداد وكانت المستنصرية جامعة اسلامية (بمفهومنا الحاضر) تضم اربع كليات للتخصص بالمذاهب الاسلامية الاربعة (الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي) فكان الارموي من طلاب الفقه الشافعي وربما كان الالتحاق بهذه الدراسة ضروريا له في اول الامر ، فقد قدم الى بغداد صبيا لا معين له ولا مورد لرزقه فوجد في المستنصرية مأوى له وراتبا شهريا مقداره ديناران فضلا عن رزقه اليومي من الطعام وهو اربعة ارطال من الخبز وشيء من الطبيخ الذي يعد في مطبخها مع

---

(١١) المصدر السابق ــ ص ٢٦

الحلوى والفاكهة والصابون والزيت ... ويوقف على غرفته في المستنصرية بساط ومسرجة من نحاس وابريق من نحاس .... وتضاعف المشاهرة هذه (اي الارزاق) في شهر رمضان مع توفر الحمام والمعالجة مجانا في حمام المدرسة وبيمارستانها[١٢] .

وليس لدينا ما يشير الى تعمق الارموي في دراسة الفقه فقد اشتغل بالموسيقى ونبغ فيها حتى تفوق بها على الفقه والخط وسائر العلوم . ثم ترك المستنصرية بعد ان تقدمت به الحال واتصل بالخليفة المستعصم وكبار رجال الدولة العباسية والمغولية . ورأى صفي الدين في الموسيقى من الحظ ما لم يره غيره بعد اسحاق الموصلي ، الا ان صفي الدين كان سيء التدبير ومسرفا في الاموال، متلافا . وقد ذكره الشهاب محمود واثنى على فضله وكثرة علومه ورئاسته واتصاله بالخلفاء والملوك ، واثبت شيئا من انشائه ونظمه وتاريخه[١٣] .

وسنذكر في الفصل التالي ما يتعلق بالجانب الموسيقي من حياة هذا النابغة بشيء من التفصيل .

---

(١٢) تاريخ علماء المستنصرية ـ ناجي معروف ـ ج ١ ص ٢٦١

(١٣) الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان ـ ص ٢٥

الفصل الثالث

مجدد الموسيقى العباسية

مرت الموسيقى العربية في زمن الدولة العباسية بمرحلة من التطور الفني والحضاري وظهر خلال القرون الخمسة التي عاشتها هذه الدولة عدد من عباقرة الموسيقى والغناء الذين رفعوا من شأن هذه الفنون ووضعوا اسسا قوية لها وكتبوا فيها المؤلفات الكثيرة التي تتضمن ابتكاراتهم ونظرياتهم . وكان آخر هؤلاء صفي الدين الارموي الذي يعد من اقطابهم اللامعين والذي تجددت على يده فنون الموسيقى والغناء في بغداد فهو خاتمة العبقرية العربية في الموسيقى في العهد العباسي وبلغ فيها مالم يبلغه احد من المتأخرين وحفظ له الناس ١٣٠ نوبة متداولة . وقد اعتبره المستشرق فارمر Farmer اعظم علماء الموسيقى العرب بعد الفارابي وقال انه قد اقتبس من كتبه معظم من اتى بعده من العلماء المتأخرين وركعوا أمام دقته وضبطه للالحان كقطب الدين الشيرازي[1] وابن العامولي

(١) قطب الدين الشيرازي : وهو محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازي ، له مؤلفات منها (عزة التاج) وكانت وفاته سنة ٧١٠ هـ (١٣١٢ م) .

ومؤلف (كنز التحف) وعبدالقادر بن غيبي[٢] واللاذقي[٣] وغيرهم وكان يطلق عليه اسم (الموسيقي العظيم)[٤] .

عرف عن هذا الموسيقار انه كان عربيا في روحه وقد عمل جهده على تخليص الموسيقى العربية من التأثير اليوناني والفارسي . ونقل الى المغول الموسيقى العربية وبين لهم ما عند العرب من فنون مع محاولة الحفاظ عليها من التأثيرات الاجنبية . يقول الاستاذ كولنكت Collangettes ان الارموي (لم يعبأ بنفوذ الاغريق او الفرس ، بل ادعى انه صاحب تصنيف جيد خالص العروبة . ولكن ذلك لم يمنع الالفاظ الفارسية من التسرب في جميع انحاء كتبه وخاصة في كلامه عن الانغام . وقد تحرر من سيطرة الاغريق ولكن ليقع تحت تأثير الفرس . ومن جهة اخرى مهما تكن عناصر ذلك الاسلوب المركب فان تصنيفه الاخير يمثل بدون منازع الفن العربي في القرن الثالث عشر)[٥] .

وللمؤرخين القدماء آراء مماثلة في عبقرية الارموي الموسيقية. قال مؤلف المنهل الصافي عنه انه (الامام العالم المجود الاستاذ

---

(٢) عبدالقادر بن غيبي : موسيقار مشهور له مؤلفات موسيقية منها (مقاصد الالحان) المطبوع بطهران سنة ١٩٥٦ وكانت وفاته سنة ٨٣٧ هـ (١٤٣٤ م) .

(٣) محمد بن عبدالحميد اللاذقي : احد المشتغلين بفنون الموسيقى ومن مؤلفاته الرسالة الفتحية ، وزين الالحان في علم التأليف والاوزان . وكانت وفاته سنة ٩٠٠ هـ (١٤٩٤ م) .

(٤) تاريخ الموسيقى العربية ــ فارمر ــ ص ٢٣٩ ــ ٢٦٨

(٥) المجلة الآسيوية (نوفمبر ــ ديسمبر ١٩٠٤) ــ ص ٣٧٩

صفي الدين عبدالمؤمن امام اهل عصره في ضرب العود والموسيقى) • وقال عنه ايضا : (وهو الاستاذ المعروف صاحب الادوار في صناعة الطبقة والطنين وضرب العود وعمله، وهو صاحب التصانيف البارعة في الموسيقى وبه يضرب المثل في هذا الشأن)[٦] • وقال عنه العز الاربيلي المؤرخ الذي عاصره واهتم بالكتابة عن تاريخ حياته قال انه (فاق في فنهالاوائل والاواخر وبه تقدم عند الخليفة) • وجاء في مسالك الابصار بالاسلوب السجعي القديم انه (مؤلف ضروب اشتات ، ومصنف نوب يجمع عليها شتات ، خدم الخلافة زمنا ، واخذ الدنيا لانفاسه ثمنا ، وبلغ من ... الموسيقى مبلغا ضم لـه ضمن لحده سايب ، وحاق به لا سحاق ان يضهر المعايب !!) • ونقل عن الدهبي قوله انه (كانت له معرفة بسائر العلوم ••• وبلـغ من الموسيقى ما لم يبلغه احد من المتأخرين ، وصنف في عملياته كثيرا ، وحفظ له الناس ١٣٠ نوبة متداولة ••• واشتغل عليه في الموسيقى جماعة من الاعيان)[٧] •

ولم يكن الارموي في اول امره قد اشتهر كموسيقار ولكنه بعد ان اشتغل بالفقه وتجويد الخط والآداب العربية اخـذ يعزف على العود وظهرت قابليته فيه واضحة جلية واشتهر بوضع الالحان الغنائية فكثر تلاميذه وكان من جملتهم مغنية فائقة الجمال تدعى (لحاظ) ذات صوت عذب فاحبها الخليفة المستعصم واجزل لهـا

---

(٦) عن مخطوط لابن تغري بردي في مكتبة نور عثمانية باستانبول نقل عنه المرحوم عباس العزاوي .

(٧) الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان ــ ص ٢٦

العطاء . واتفق في يوم من الايام ان غنت بين يدي الخليفة غناء حسنا ذا لحن عذب غريب جلب انتباه الخليفة فسألها عنه فقالت انه لصفي الدين استاذي . وكان صفي الدين يعمل في مكتبة القصر ، فقال علي به . فلما مثل امامه امره ان يضرب على العود فعزف واجاد واحب الخليفة الحانه وامره بملازمة مجلسه وعين له راتبا ورزقا وافرا غير ما كان ينعم عليه به. وازداد تقرب الارموي من المستعصم حتى انه كان يقضي للناس حوائجهم عنده كما يقول .

ولحاظ هذه التي كانت السبب في تعريف الارموي كموسيقار للخليفة المستعصم هي احدى المغنيات المعروفات في العصر العباسي الاخير ، وهي التي قال فيها صاحب مسالك الابصار باسلوبه الكثير التكلف : « سحرت فقيل لحاظ وملأت نفس كل عاشق فغاظ ، طالما تجلت فجلت الهموم وغنت فاقتادت القلب المزموم ، وبرزت فتنة للانام ومحنة للمستهام . الا انها لو تقدمت زمانا كما لو تقدمت افتتانا لأرخصت دنانير ، وصرفت عنانا ، واعربت بما لم تدع لعريب امتنانا ، كانت تلازم مجلس الغناء عند الخليفة المستعصم وكان يعجبه غناؤها » ، و (دنانير) و (عنان) و (عريب) اسماء مغنيات شهيرات قبل عصر الارموي .

وللمغنية لحاظ اخبار كثيرة ، منها ماروواه صفي الدين الارموي فقال : حدثتني لحاظ فقالت :

داعبني الخليفة (المستعصم) يوما ونحن في خلوة ، مداعبة ظننت انه يريد مني بعض الامر ، فظهر له مني ما يدل على الاجابة ،

فتوقر وغضب وقال : ويلك اظننت اني جاد ؟ وهل ترين الا المزاح ؟ نعوذ بالله من المعصية[8] .

وكان ببغداد رجل من اهل الكرخ يقال له ابن معمر ، كان ناظرا لديوان المكوس (اي الضرائب) وكان يحمل الى المغنية لحاظ في كل شهر خمسمائة دينار من دون علم الخليفة . ففي بعض الايام حضرت لحاظ على عادتها بين يدي الخليفة مع جماعة من المغنين فتغنت بابيات اولها :

ذكر الكرخ نازح الاوطان
فاستهلت مدامع الاجفان

فقال بعض الحاضرين من المغنين : كيف لا يذكر الكرخ من يصل اليه في كل شهر خمسمائة دينار ؟ فسأل الخليفة عن الخبر فذكروه له فامر بنفي المغنية لحاظ ، وعزل ابن معمر عن وظيفته واستصفيت امواله .

---

(٨) يظهر في اقوال المؤرخين اختلاف حول سيرة المستعصم واخلاقه فمنهم من ذكر انه كان عاكفا على اللهو والخمر والنساء ومنهم من وصفه انه كان حافظا للقرآن مشغولا بتلاوته ، خيرا متدينا لين الجانب عفيف اللسان (راجع ابن العبري والفخري في الآداب السلطانية وخلاصة الذهب المسبوك والمختصر من سير الملوك للاربيلي) . غير ان هناك اجماعا على انه كان ضعيف الرأي قليل الخبرة بامور الدولة ، مغلوبا على امره ، ادى ضعفه الى سقوط دولته وزوال ملكه .

واظهر الارموي كفاءة ومقدرة في الموسيقى والغناء وجمال الصوت . ويروي احد الادباء الذين عاصروه الحادثة التالية : قال حدثني جماعة ثابتو العدالة مسموعو القول من اهل زماننا هذا انهم حضروا مع الشيخ الامام العالم العلامة قدوة هذه الصناعة اولا وآخرا الشيخ صفي الدين عبدالمؤمن ـ طاب ثراه ـ ببستان في بغداد وهو يضرب بالعود ، ان هزارا اتى لحسن النغم حتى سقط على غصن قبالة وجهه ثم طار ونزل الى الارض وهو يرفل بجناحيه ويصيح ولم يزل يفعل ذلك ويقرب منه قليلا قليلا حتى صار بين الجماعة[٩] .

واصبح هذا الموسيقار نابغة عصره واعاد الى الاذهان عصر اسحاق الموصلي . وفي عهده استعمل سلم موسيقى جديد لم يكن معروفا من قبل وهو مبني على السلم القديم (الطنبور الخراساني) ويضم السلالم الفيثاغورية والزلزلية والفارسية ورغم انه لا تتوفر لدينامعلومات دقيقة عمن اوجده الا ان المستشرق فارمر يرجح ان الذي اوجده هو الارموي نفسه . كما يعزي الى هذا الموسيقار اختراع الالة الموسيقية المسماة (المغني) وهي آلة وترية تشبه العود منحنية الذراع وكثيرة الاوتار وكان قد صممها اثناء اقامته في اصفهان ، وكذلك الالة المسماة (النزهة) والتي تشبه القانون وتتكون من صندوق صوتي مستطيل الشكل ذي اوتار كثيرة كاوتار القانون وقد جاء ذكرها في (كنز التحف) الذي

---

(٩) نقلا عن مخطوطة في مكتبة الاوقاف ببغداد برقم ٥٦٤١ تحت عنوان (في ماهية الموسيقى واشتقاقه) ـ الورقة ٢٣ ـ

يرجع تاريخه الى منتصف القرن الرابع عشر الميلادي[١٠] ، كما تأيد ذلك في مخطوطة عثرت عليها في مكتبة المتحف العراقي برقم ٢٢٧٦/٢ تحت عنوان (الميزان في علم الادوار والاوزان) وقد جاء فيها : « وقال صفي الدين رحمه الله : لما رأيت ان اكثر الناس لا يلتفتون الى كمال الآلة الا زيادة الضرب ويفضلون الجنك على العود لزيادة اوتاره وقوة نغمه فاخترعت لهم آلة غريبة وسميتها النزهة وهي قانونان مخالفان ، فهي مربعة الشكل احد قانونيها يمين والآخر يسار ، ولها واحد وثمانون وترا كل ستة منها نغمة واحدة بمواجب التمشي : صياحات وشحاجات[١١] ، اليمين وملاويها وسط الآلة نصب فيها باليدين برخمتين (كذا) وشدها على هيئة الجنك والمغني ، والقصد بها زيادة الطرب لاكمال الآلة ». ويقول في هذه المخطوطة ايضا عن الآلة المسماة بالمغني انها : « اكمل الآلات المغلقات كافة لانه في ساعة يعفق وهو بعشر مواجب كل موجب ثلاثة اوتار »[١٢] .

وحدد الارموي المصطلحات الموسيقية بالنسبة لما وضعه كل من الكندي والفارابي وابن سينا ، ووضع تعريفات جديدة لها تنسجم مع التطور الفكري والموسيقي خلال تلك الحقبة من

---

(١٠) توجد نسخة خطية منه في المتحف البريطاني برقم 2361.OR ونسخه اخرى في مكتبة ليدن بهولندة برقم 271

(١١) الصياح هو الصوت الحاد للنغم الموسيقي (ويسمى الآن الجواب) . والشحاج هو الصوت الغليظ للنغم (ويسمى القرار) .

(١٢) قوبلت على نسخة ثانية في مكتبة المتحف العراقي برقم ٩٤٢٨/١ مصورة بالفوتوستات عن نسخة مكتبة لاله لي باستانبول .

الزمن[١٣] وهي تعريفات علمية تتفق مع ما هو متعارف عليــه في الوقت الحاضر • واهتم بتوضيح معنى الحدة والثقل في الاصوات وعلاقتها بتقسيم الاوتار الى اجزائها واوضح ذلك بالتفصيل في كتابيه الرسالة الشرفية والادوار • وكذلك اهتم بالمقامات الصوتية (او ما كان يسمى بالشدود) واورد منها اثنى عشر مقاما وهــي (١) العشاق (٢) النوى (٣) البوسليك (٤) الراست (٥) العراق (٦) الاصفهان (٧)الزيرافكند (٨) البزرك (٩) الزنكله (١٠)الراهوي (١١) الحسيني (١٢) الحجازي • امــا الاوزان التي ذكرها فهي ستة وهي (١) الكوشت (٢) الكردانية (٣) النوروز (٤) السلمك (٥) المايه (٦) الشهناز •

ودرس الارموي تأثير المقامات على النفس عند الانسان ومتى يجب ان يغنى كل منها ، فمنها مثلا ما يؤثر تأثير القوة والشجاعة كالنوى والبوسليك والعشاق ويقول عنها انها تلائم سكان الجبال والترك • اما الراست فيقول عنه انه يبسط النفس بسطا لطيفا • ويقول عــن الحسيني والراهوي والبزرك انها تؤثر تأثير الحزن والفتور فينبغي ان يقرن بكل دور منها شعر يناسب تأثيرها في النفس بالمعنى الذي يتضمنه فاذا كان الدور يؤثر تأثيرا حزينا فيجب ان لا ينشد فيه قول الشاعر :

وقــع الرضــا وتيســـر الوصــل
بعــد القــلى وتجمــع الشـــمل

---

(١٣) افرد الدكتور حسين علي محفوظ فصلا كاملا عن تعريفـــات الارموي في كتابه (معجم الموسيقى العربية) الصادر ببغداد عام ١٩٦٤ .

وهكذا بالنسبة للادوار الاخرى .

وبحلول عهد صفي الدين وضعت نظرية جديدة في الموسيقى اساسها تقسيم السلم العربي الى ١٧ بعدا بالتوالي ليما ـ ليما ـ كوما (الليما تعادل $\frac{١}{٢١}$ من الوتر والكوما تساوي $\frac{١}{٨١}$ من الوتر)(١٤) .

واهتم الارموي بتدوين الالحان بشكل (نوته) موسيقية ذات ضوابط وقياسات فنية استعمل فيها الحروف الابجدية والارقام واعطى الايقاع الذي يرافق اللحن فجعل اخراج الانغام ممكنا واصبح من اليسير عزفها على الآلات الموسيقية الحديثة وتسجيلها بالنوته الغربية المعروفة الآن . وقد أوضح ذلك في كتابه (الادوار) حيث اورد ابياتا من الشعر وقد جزأ كلماتها الى مقاطع حسب تلفظها واعطى كل مقطع رمزا بالحروف يدل على الدساتين (اي مواضع ضغط الاصابع على الوتر) سواء في الموضع الطبيعي للنغم او في حال الزيادة والنقصان (اي الدييز والبيمول) ، وجعل ترتيب الحروف الابجدية على الشكل التالي :

١ ـ اعطى مواضع ضغط الاصابع ـ حسب تسلسلها ـ الحروف الابجدية العشرة الاولى وهي :

أ ب ج د هـ و ز ح ط ي

---

(١٤) تاريخ الموسيقى والغناء العربي ـ للدكتور محمد محمود سامي حافظ ـ ص ٩٧

٢ ــ اذا انتهى تسلسل هذه الحروف يضيف الى كل منها الحرف العاشر من الحروف الابجدية وهو الياء فتصبح :

يا يب يج يد يه يو يز يح يط

٣ ــ واذا انتهت هذه يضيف الى كل حرف منها الحرف الحادي عشر من الحروف الابجدية وهو الكاف فتصبح :

كا كب كج كد كه كو كز كح كط

٤ ــ اذا انتهت يضيف الى كل حرف منها الحرف الثاني عشر وهو اللام فتصبح :

لا لب لج لد له لو لز لح لط ••• وهكذا بالنسبة للحروف الاخرى •

٥ ــ يضع هذه الاحرف او الرموز بمقابل درجات السلم الموسيقي حسب التفصيل المبين ادناه :

أ	يقابل	لا
ب	يقابل	سي بيمول
جـ	يقابل	سي كار بيمول
د	يقابل	سي
هـ	يقابل	دو
و	يقابل	دو دييز
ز	يقابل	ره كار بيمول

ح	يقابل	ره
ط	يقابل	مي بيمول
ي	يقابل	مي كار بيمول
يا	يقابل	مي
يب	يقابل	فا
يج	يقابل	فادييز

وهكذا الى آخر درجات السلم الموسيقي .

وقد اعطى في كتابه هذا نموذجا متكونا من اغنيتين :

الاولى منهما من مقام النوروز بايقاع الرمل وهي :

على صبكم ياحاكمون ترفقوا
ومن وصلكم يوما عليه تصدقوا

ولا تتلفوه بالصدود فانه
يحاذر ان يشكو اليكم فتشفقوا

ولحن هذه الاغنية ذو تصرف نغمي محدود يشبه الحان الخليج العربي التي نسمعها في الوقت الحاضر .

اما الاغنية الثانية فهي من مقام الكوشت ومن ايقاع الرمل ايضا وفيها تصرف نغمي اكثر من الاغنية الاولى وهي :

على الهجر لا والله ما انا صابر
وغيري على فقد الاحبة قادر

كتمت هواكـم خيفة من عواذلـي
ولي ولكـم عنـد اللقـاء سرائـر

ان التوصل الى اخراج النوته الموسيقية التي سجلها الارموي لهاتين الاغنيتين في كتابه (الادوار) وتسجيلها بالنوته الحديثة ومن ثم عزفها بالآلات الموسيقية المعروفة لدينا في الوقت الحاضر جعل المجتمع البغدادي يستطيع لاول مرة ان يستمع الى الحان عباسية ترجع الى القرن السابع الهجري ، وذلك خلال المحاضرة التي القيتها عن موسيقى الارموي في جمعية الفنون والتراث البغدادية والتي شارك فيها الموسيقار المعروف الاستاذ سالم حسين بوضعه النوته الافرنجية لهاتين الاغنيتين وعزفه موسيقاها بحضور فرقة مهيئة لهذا الغرض وغناء هاتين الاغنيتين اللتين وضعهما الارموي بصوت مطربه معروفة[١٥] • وبذلك اصبح من السهل عزف الالحان العباسية القديمة عند العثور على (نوتتها) العربية •

واستعمل الارموي العود باوتاره الخمسة اي باضافة الوتر الخامس ، ورسمه هكذا في كتابه (الادوار) • ومن المعلوم ان الموسيقار زرياب المتوفى سنة ٢٣٨ هـ هو الذي اضاف الوتر الخامس ، غير انه بقي باربعة اوتار بعد وفاة زرياب وبقي غير مستعمل من عامة الموسيقيين حتى عصر الارموي •

---

(١٥) كانت المحاضرة بعنوان (صفي الدين الارموي واثره في الموسيقى العباسية) وقد القيت في جمعية الفنون والتراث ببغداد في ١٦ حزيران ١٩٧٧



أغنيـــة (على صبكم يا حاكمين ترفقوا) للارموي وتسجيلها الموسيقي



على الهجر لا والله ما انا صابر — وغيري على فقد الاحبة قادر

كتمت هواكم خيفة من عواذلي — ولي ولكم عند اللقاء سرائر

على الهجر لا والله ما انا صابر

وغيري على فقد الاحبة قادر

كتمت هواكم خيفة من عواذلي

ولي ولكم عند اللقاء سرائر



أغنية (على الهجر لا والله ما انا صابر) للارموي وتسجيلها الموسيقي

وكان لهذا الموسيقار عدد من التلاميذ الذين درسوا عليه فنون الموسيقى والالحان وقد ذكرنا منهم المغنية لحاظ التي نالت الشهرة وبلغت قمة مجدها بالغناء في عصر المستعصم ، وكذلك المغنية (صبا) التي كان قد اصطحبها معه للغناء امام هولاكو ، وهو يصفها بانها لم يكن في بغداد احسن منها صورة ولا اطيب صوتا .

ومن تلامذته ايضا شمس الدين احمد بن يحيى السهروردي وكان قد ولد سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) وتفقه على المذهب الشافعي واتقن الخط المنسوب والموسيقى ووصلت شهرته الى ما وصل اليه استاذه الارموي ، وحظي بمكانة ممتازة عند الملوك والأمراء ، وهو من ذرية الشيخ شهاب الدين السهروردي ، وكان حسن الاخلاق سديد المقال ، له مؤلفات في الموسيقى ، وقد توفي سنة ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) .

ومنهم بهاء الدين محمد (١٢٤٠ — ١٢٧٩ م) ابن الوزير الصاحب شمس الدين محمد الجويني وقد فاق كثيرا من معاصريه في الموسيقى ، وعندما اصبح حاكما لاصفهان اخذ معه استاذه صفي الدين وذلك سنة ١٢٦٥ م . ولما مات بهاء الدين هذا فقد الارموي سندا قويا له وساءت به الحال .

ومن تلامذته ايضا شرف الدين هارون بن الصاحب شمس الدين الجويني (اخو بهاء الدين) ، المتوفى سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م) ، وكان قد درس عليه الموسيقى والف الارموي له رسالة في الموسيقى سماها باسمه وهي (الرسالة الشرفية) .

وجاء في كتاب (الموسيقى) لعبدالقادر المراغي المتوفى سنة ٨٣٧ هـ ان صفي الدين الارموي تخرج عليه كل من علي الستاهي (او الستائي) وحسين زامر وحسام الدين قتلغ بوغا اضافة الى الشيخ شمس الدين السهروردي الذي سبق ذكره • ويذكر مؤلف (تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب) اسم (فخرالدين) كاحد تلامذته ويقول عنه انه « كان من اولاد العدول والاشراف ••• اشتغل بعلم الموسيقى على الصدر صفي الدين عبدالمؤمن بن يوسف ابن ابي المفاخر ورأيته بتبريز سنة ٦٦٩هـ فيحضرة الصاحب السعيد شمس الدين ••• وكان حسن العشرة ، انشد في المفاوضة في الزهد :

ايا مولاي عفوا عن اناس
لهم في دينهم حال عجيبه
فهم خافوا وما قصدوا بِشرّ
فكيف اذا اصابتهم مصيبة ؟ »(١٦)

وورد اسم تلميذ آخر له في مخطوط (الميزان في علم الادوار والاوزان) الموجود في مكتبة المتحف العراقي يدعى (احمد الجفاناتي) الذي ذكر انه (تلميذ صفي الدين العواد عفا الله عنه وعن شيخه) ويذكره في مواضع اخرى باسم (صفي الدين عبد المؤمن) ، وكان قد وضع جداول الاهجار في نهاية المخطوط • وربما هناك من تلامذته غير هؤلاء ممن لم نعثر على اسمائهم في الوقت الحاضر •

---

(١٦) تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب ــ الفوطي ــ الجزء الرابع القسم الثالث ــ ص ٢٢٤

الفصل الرابع

الأرموي
وسقوط بغداد بيد المغول

في الوقت الذي كانت الدولة العباسية تعاني فيه من مشاكلها الكثيرة ، كانت اقوام غريبة عن هذه البلاد تتجمع على حدودها الشرقية بعد ان اكتسحت امامها الشعوب والدويلات الممتدة من اواسط آسيا الى حدود العراق في فترة امتدت الى النصف قرن .

كان ذلك خلال النصف الاول من القرن السابع الهجري ، وكانت تلك الاقوام بدائية وثنية تأتي على المدن والقرى فتهدم اسوارها وتخرب بيوتها ومعابدها وتقضي على اهلها وتذرها قاعا صفصفا ، وتغادرها بعد ان لا يطيب لها المقام فيها لكثرة الروائح الكريهة المنتشرة من الجثث المتفسخة المطروحة في طرقاتها . هؤلاء القوم هم المغول او التتر الذين جاؤا من شرق اسيا وصاروا يهددون باكتساح بغداد والقضاء على الدولة العباسية وذلك عام ٦٢٩ هـ اي في زمن الخليفة المستنصر بالله . الا انه بعد موت هذا الخليفة قوى شأن المغول حيث جاء الى الحكم الخليفة المستعصم وكان ضعيف الرأي عاجزا متهاونا بحق شعبه ودولته . ويروي ابن العبري في تاريخه انهم كلما ذكروه بأمر المغول واحتشاد عساكرهم

على تخوم دولته يقول لهم : ان بغداد تكفيني ولا يستكثرونها علي اذا نزلت لهم عن باقي البلاد •

وازدادت هجمات المغول وتحرشاتهم ووصلت جيوشهم سنة ٦٥٠ هـ الى جبال العراق فاوقعوا في اهلها القتل والنهب والسبي حتى بلغوا الموصل وكان رجال الحكم في بغداد لا يكترثون للامر ولا يحتاطون له ، وترك كثير من الجند بغداد لانقطاع ارزاقهم ولحقوا ببلاد الشام[١] • وكان الخطر المغولي يتفاقم من دون ان ينتبه له رجال الدولة الذين كانت الاتهامات قائمة بينهم ، وحدث الانقسام بين الوزير مؤيد الدين بن العلقمي والدويدار الصغير قائد الجيش ونشب النزاع بينهما ، وظهر ضعف الخلافة العباسية امام هولاكو فصار يراسل الخليفة بوجوب الاستسلام وفتح ابواب بغداد لجيوشه ، وقال له في رسالته التي ارسلها اليه في ١٠ رمضان ٦٥٥ هـ « اننا نحذرك مغبة المناوأة والعداء وان تتقي الحرب وألا تضرب ••• فعليك ان تهدم القلاع وتطم الخنادق وتسلم البلدة والممالك الى احد اولادي وان تتوجه لملاقاتنا ••• واذا لم تفعل ذلك ولم تراع ما انطوى عليه هذا الكتاب فتأهب للقتال واستعد للنضال وجهز جيشك وعين جبهةالقتال فانا متهيئون للكفاح ومستأنسون به • فاذا جهزت العساكر وغضبت عليك فاعلم انك لا تنجو مني ولو صعدت الى السماء او اختفيت في باطن الارض ••• الخ » •

وكان هولاكو قد طلب مساعدة عسكرية من الخليفة اثناء

---

(١) الحوادث — ص ٢٦١ •

حصاره لقلاع الاسماعيلية في ايران فأراد الخليفة ارسال ما اراد فلم يمكنه رجال الحاشية من ذلك وقالوا له ان هولاكو رجل صاحب احتيال وخديعة وليس محتاجا الى نجدتنا وانما غرضه اخلاء بغداد من الرجال ليملكها بسهولة . فتقاعس الخليفة عن ارسال النجدة . ولما فتح هولاكو تلك القلاع ارسل رسولا الى الخليفة يعاتبه بشدة على عدم تسيير النجدة وينذره فشاور الخليفة حاشيته فقال الوزير: لاوجه لارضاء هذا الملك الجبار الا ببذل الأموال والهدايا والتحف له ولخواصه. وعندما اخذوا في تجهيز ما يرسلونه من الهدايا قال الدويدار الصغير واصحابه : ان الوزير انما يدبر شأن نفسه مع التتر ! وحينئذ ابطل الخليفة ارسال الهدايا واقتصر على ارسال وفد مع هدية صغيرة لا قيمة لها ورسالة الى هولاكو جوابا على رسالته يقول له فيها : « ايها الولد الغر الذي لم يبلغ الحلم !! اظن انك تريد ان تذهب بحياتك وتتطلب قصر الاجل ... اما تعلم ان اهل المشرق والمغرب من غني وفقير وشيخ وشاب ممن يدينون بدين الله يذعنون لي بالطاعة ... وانت لو كنت تزرع بذر المحبة والسلم في قلبك لما كنت تكلفنا بهدم القلاع وطم الخنادق ... الخ »(٢)

وفي سنة ٦٥٥ هـ غادر هولاكو منطقة همدان في ايران متوجها الى بغداد وقد بلغه ان الخليفة يهيىء الجيوش الكثيرة استعدادا للقتال فاوجس خيفة واستدعى اركان دولته يستشيرهم في امر فتح بغداد فكان كل واحد منهم يبدي رأيا حسب اعتقاده . فطلب

---

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ــ ج ١ ص ١٥٨

استدعاء حسام الدين المنجم ليبدي رأيه في ذلك بحسب سير الكواكب ومطالع النجوم فقال له المنجم بلا تردد ولا خوف : « اني لا ارى من المصلحة ان تقصد الخلافة العباسية ، اذ ما من ملك مقتدر اراد سوءا بالعباسيين الا كان نصيبه الخيبة والخذلان وذهاب الملك من يده وانقطاع حياته » .

واخذ الامراء وقواد الجيوش يحثون هولاكو على السير الى بغداد ويقوون عزمه وحينئذ امر ان يحضر الخواجه نصير الدين الطوسي وسأله عن تخوفه من التوجه لفتح بغداد فقال هذا : ان ما ابداه المنجم غير صحيح ولا تقع حادثة ما . فقال هولاكو : فماذا يكون ؟ قال الطوسي تكون انت خليفة بغداد . وعندئذ استعد هولاكو للزحف وعزم عزما اكيدا على مواصلة السير الى بغداد وسار في جيش لجب مستصحبا المنجنيقات وآلات الحصار ومعه نصير الدين الطوسي وامراء الجيش والحاشية وكان ذلك في شهر محرم من سنة ٦٥٥ هـ فصاروا يغيرون بالسلب والقتل والتخريب على القرى الآمنة واخذ الناس ينهزمون من امامهم ، وغلت الاسعار ونقصت الاقوات . وامر هولاكو الامير بايجو بالمسير الى اربيل وان يعبر دجلة ويسير الى بغداد من الجانب الغربي ، فلما بلغ الخليفة ذلك طلب من الدويدار الصغير مجاهد الدين ايبك بالتوجه الى لقائه فتوجه هذا بجيشه فلما تجاوز قنطرة باب البصره بالكرخ بفرسخ واحد التقى بجيش المغول وكان قريبا من بغداد فوقعت معركة بين الطرفين انكسر فيها جيش المغول قصدا وخديعة فتبعهم الدويدار وقتل منهم جماعة وارسل رؤوسهم الى بغداد وما زال

يتبعهم بقية نهاره فاشار عليه الامير فتح الدين بان يثبت مكانه ولا يتبعهم فلم يصغ اليه فادركه الليل وقد تجاوز الدجيل فبات وجيشه هناك فلما اصبحوا حملت عليهم عساكر المغول وقاتلوهم قتالا شديدا فلم يثبت جيش بغداد وانكسر وتفرق افراده راجعين الى بغداد فوجدوا نهر بشير في الدجيل قد فاض في الليل وملأ الصحراء فعجزت الخيل عن اجتيازه ووحلت فيه والقى معظم الجند انفسهم في دجلة فهلك منهم عدد كبير ودخل من نجا منهم الى بغداد مع الدويدار على أقبح صورة • وتبعهم بايجو وجنوده يقتلون فيهم ويغنمون ما كان معهم ونزلوا بالجانب الغربي من بغداد وقد خلا من اهله وصاروا يرمون السهام عبر نهر دجلة الى الجانب الشرقي فكانت السهام تصل الى الدور المقابلة ، وكانت لها قوة حتى انها كانت تنغرز في الجدران ، وقد انغرز منها في جدران المدرسة المستنصرية شيء كثير وقتل بها جماعة في الجانب الشرقي[٣] •

وكان الخليفة المستعصم اثناء ذلك جالسا في احد الاروقة وبين يديه طفلة صغيرة تسمى (عرفه) كانت مدلله مضحكة فاصابها سهم دخل من بعض الشبابيك فقتلها فانزعج الخليفة لذلك وامر بعمل ما يحول بين شبابيك الدار وبين الرماة فعملت ستائر من الواح الخشب •

ووصل هولاكو في محرم ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) الى بغداد فاغلقت ابواب السور بوجهه وعندئذ امر بحفر خندق فحفر وبنى

(٣) مختصر التاريخ لابن الكازروني ــ ص ٢٧١

بترابه سورا يحيط بالمدينة نصبوا عليه المنجنيقات والناس يشاهدون ذلك وقد نصبوا هم ايضا منجنيقات للدفاع الا انها لم تعمل ولم ينتفع بها . واخذ الناس يتسللون هربا من الموت عن طريق دجلة فامر هولاكو بعقد جسر جنوبي بغداد ليمنع الناس من الانحدار الى واسط ولم يعلم اهل بغداد به فكانت السفن تصل اليه فيؤخذ من بها ويقتل ، وقد قتل عنده عدد كبير من الناس . ولما كان اليوم الرابع عشر من محرم خرج الوزير مؤيد الدين بن العلقمي فصار ينهي الناس من رمي السهام ويقول : سوف يقع الصلح ان شاء الله فلا تحاربوا ، هذا بينما كان جيش المغول يرمي السهام بغزارة على اهل بغداد . ثم جمع المغول قوتهم عند باب الطلسم في شرق المدينة وواصلوا رمي المنجنيقات على السور فهدموه وصعدوا عليه في اليوم الحادي والعشرين من محرم وتمكنوا من البلد .

وكان الوزير ابن العلقمي قد قابل هولاكو خارج السور ورجع الى الخليفة وقال له : يرى السلطان هولاكو ان تخرج اليه . فاخرج ولده الاوسط ابا الفضل فلم يرض به . فخرج اليه الخليفة ومعه الوزير وجمع كثير فافردوا له خيمة لوحده واسكن بها . ثم طلب منه هولاكو ان يدخل الى قصوره ببغداد ويخرج اليهم الاموال من جواهر وحلي وثياب واواني الذهب والفضة فدخل ومعه جماعة من امراء المغول ونصير الدين الطوسي فاخرجها لهم . وامر هولاكو ان يعزل نساء الخليفة اللواتي باشرهن هو وبنوه فكن سبعمائة امرأة . واخرج معهن الف خصي فقتلوا . ثم طلب الى الناس القاء اسلحتهم وان يخرجوا الى ظاهر السور فخرجوا وهناك قتلوا .

وأمر هولاكو بقتل الخليفة فقتل في الرابع عشر من صفر وذلك بان جعل في غرارة ورفس حتى مات • ثم قتل ابناؤه واقرباؤه فكانوا يطلبون واحدا بعد واحد فيخرج باولاده وجواريه الى معسكر هولاكو قرب مقبرة الخلال (اي بجوار جامع الخلاني الحالي في شارع الجمهورية) فيقتلون عن آخرهم ، وقتل الدويدار الصغير مجاهد الدين ايبك وسائر الامراء وابيحت بغداد لجنود المغول يقتلون ويأسرون ويفعلون ما يشاؤون ، وقسمت المدينة الى مناطق حسب دروبها ومحالها وبيوت الاغنياء وذوي اليسار فيها ؛ واعطيت كل منطقة الى قائد لتكون حصته في الغنيمة •

وكان صفي الدين الارموي آنذاك في بيته ولم يعد يخرج الى دار الخلافة بل انزوى يراقب الحوادث ويتألم • وكفت جواريه عن العزف والغناء وجلسن يرقبن قضاء الله ، وتراكض القوم في الشارع ينبئون عن قدوم المغول ولم يكن من بد سوى غلق ابواب الدرب الذي فيه مسكنه ، فقد كان في مدخل كل درب ببغداد عقد من الآجر يبنى ويجعل عليه باب كبير يفتح ويغلق عند الحاجة اذا ما حدثت اضطرابات او مصادمات او اعتداء على السكان فيه(٤) •

واقبل صفي الدين واهل الدرب يضعون المتاريس خلف الباب ويختارون جماعة منهم للحراسة والدفاع ولكن لم يطل الوقت حتى علت الضوضاء وقدم المغول بخيولهم واعلامهم واسلحتهم لاحتلال ذلك الشارع وكان على رأسهم قائد لعشرة آلاف

---

(٤) ولا يزال يطلق اسم (العقد) (او العگد باللهجة البغدادية) على الدرب في محلات بغداد القديمة الى الآن •

فارس يدعى (بانو نوين) وهو الآمر بمنطقته يفعل ما يشاء من قتل ونهب وسلب وتخريب ٠

ولنترك صفي الدين الارموي يحدثنا في ما يلي عن تلك الساعات الرهيبة التي جاء فيها اولئك السفاكون وما جرى له معهم من حوداث عجيبة[٥] ٠ قال الارموي : « كان هولاكو قد رسم لبعض الامراء ان يقتل ويأسر وينهب مدة ثلاثة ايام ، ولبعضهم يومين ولبعضهم يوما واحدا حسب طبقاتهم ٠ فلما دخل الامراء الى بغداد كان اول درب جاءوا اليه الدرب الذي انا ساكنه وقد اجتمع فيه خلق كثير من ذوي اليسار واجتمع عندي نحو خمسين جارية من ارباب المغاني وذوات الحسن والجمال ٠ فوقف (بانو نوين) على باب الدرب وهو مترس بالاخشاب والتراب وطوقوا الباب وقالوا افتحوا لنا وادخلوا في الطاعة ولكم الامان والا احرقنا الباب وقتلناكم ، وكان معه النجارون وخلافهم واصحابه بالسلاح ٠ قال صفي الدين : فقلت السمع والطاعة انا اخرج اليه ٠ ففتحت الباب وخرجت اليه وحدي وعلي ثياب وسخة وانا انتظر الموت ، فقبلت الارض بين يديه فقال للترجمان : قل له من انت ؟ اكبير هذا القوم الذي في الدرب ؟ فقلت نعم ٠ قال اذا اردتم السلامة من الموت فاحملوا لنا كذا وكذا ، وطلب شيئا كثيرا ٠ فقبلت الارض مرة ثانية وقلت كل ما طلبه الامير يحضر وقد صار كل ما في هذا الدرب بحكمك فانزل لاجمع لك كل ما طلبت ٠ فشاور اصحابه

---

(٥) نقلا عن رواية المؤرخ عزالدين الاربيلي ٠ راجع ص ٣٢ من هذا الكتاب

ونزل في نحو ثلاثين رجلا من خواصه فأتيت به داري وفرشت له الفرش الخليفية الفاخرة والستور المطرزة بالزركش واحضرت له في الحال اطعمة فاخرة وشواء وحلواء وجعلتها بين يديه فلما فرغ من الاكل عملت له مجلسا ملوكيا واحضرت الاواني المذهبة من الزجاج واواني فضة فيها شراب مروق . فلما دارت الاقداح وسكر قليلا احضرت عشر مغنيات كل واحدة تغني بملهاة غير ملهاة الاخرى فغنين كلهن فارتج المجلس وطرب وانبسطت نفسه فضم واحدة من المغنيات اعجبته فواقعها في المجلس ونحن نشاهده ، واتم يومه في غاية الطيبة . فلما كان وقت العصر وحضر اصحابه بالنهب والسبايا قدمت له ولاصحابه الذي كانوا معه تحفا جليلة من اواني الذهب والفضة ومن النقد والذهب ، ومن الاقمشة الفاخرة شيئا كثيرا سوى العليق ووهبت له الغواني اللاتي كن بين يديه واعتذرت من التقصير وقلت : جاء الامير على غفلة لكن غدا ان شاء الله اعمل للامير دعوة احسن من هذه فركب وقبلت ركابه ورجعت فجمعت اهل الدرب من ذوي النعمة واليسار وقلت لهم انظروا لانفسكم ، هذا الرجل غدا عندي وبعد غد ، وكل يوم اريد اضعاف اليوم المتقدم . فجمعوا لي من بينهم ما يساوي خمسين الف دينار من انواع الذهب والاقمشة الفاخرة والسلاح ، فما طلعت الشمس الا وقد وافاني فرأى ما اذهله. وجاء فيهذا اليوم ومعه نساؤه فقدمت اليه ولنسائه من الذخائر والذهب والنقد ما قيمته عشرون الف دينار .

وقدمت له في اليوم الثالث لاليء نفيسة وجواهر ثمينة وبغلة

جليلة بآلات خليفية وقلت : هذه من مراكب الخليفة وقدمت لجميع من مسه وقلت : هذا الدرب صار بحكمك وان تصدقت على اهله بارواحهم فقال قد عرفت ذلك ، ومن اول يوم وهبتهم ارواحهم ، ولكن انت تجهز معي الى حضرة القان (اي هولاكو) فقد ذكرتك له وقدمت له شيئا من المستظرفات التي قدمتها الي فأعجبته ورسم بحضورك . فخفت على نفسي وعلى اهل الدرب وقلت : هذا يخرجني الى خارج بغداد ويقتلني وينهب الدرب . فظهر علي الخوف وقلت : ياخوند ، هولاكو ملك كبير وانا رجل حقير فاني اخشى منه ومن هيبته . فقال لا تخف ، ما يصيبك الا الخير فانه رجل يحب اهـل الفضائل . فقلت انا في ضمانك انه لا يصيبني مكروه . قال نعم . فقلت لأهل الدرب : ما عندكم من النفائس فاتوني بكل ما تقدرون عليه . واخذت معي من المقتنيات الجليلة ومن الذهب والفضـة ، وهيأت مآكل كثيرة طيبة وشرابا كثيرا عتيقا فائقا وأواني فاخرة كلها من الفضة المنقوشة بالذهب . واخذت معي ثلاث جوار مغنيـات من اجمل من كان عندي واتقنهن للضرب ، ولبست بدله من القماش الخليفي وركبت بغلة جليلة كنت اركبها اذا رحت الى الخليفة . فلما رآني (بانو نوين) بهذه الحالة قال لي انت وزير ؟ قلت بل انـا مغني الخليفة ونديمه لكن لما خفت منك لبست هذه الثياب المقطعة الوسخة . ولما صرت من رعيتك اظهرت نعمتي وأمنت . وهـذا الملك هولاكو ملك عظيم فما ينبغي ان ادخل عليه الا بالحشـمة والوقار . فاعجبه مني هذا .

وخرجت معه الى مخيم هولاكو فدخل عليه وادخلني معه • وقال لهولاكو : هذا الرجل الذي ذكرته ، واشار الي • فلما وقعت عين هولاكو علي قبلت الارض وجلست على ركبتي كما هو من عادة التتر • فقال (بانو نوين) : هذا كان مغني الخليفة وقد فعل كذا وكذا ، وقد اتاك بهدية • فقال قد قبلتها • فقبلت الأرض مرة ثانية ودعوت له وقدمت له ولخواصه الهدايا التي كانت معي ، فكلما قدمت شيئا منها يفرقه ، ثم فعل بالمأكول كذلك ثم قال لي : انت مغني الخليفة ؟ فقلت نعم • فقال اي شيء اجود ما تعرف في الطرب؟ قلت : اغني غناء اذا سمعه الانسان ينام • فقال لي : غن لي الساعة حتى انام • فندمت وقلت ان غنيت له ولم ينم قال هذا كذاب وربما قتلني ولابد من الخلاص منها بحيلة • فقلت : ياخوند الطرب باوتار العود لا يطيب الا بشرب الخمر ولا بأس بان يشرب الامير قدحين او ثلاثة حتى يقع الطرب في موقعه فقال : انا مالي في الخمر رغبة لانه يشغلني عن مصالح ملكي ، ولقد اعجبني من نبيكم تحريمه • ثم شرب ثلاثة اقداح كبار ، فلما احمر وجهه اخذت عودا وغنيته ، وكان معي مغنية اسمها (صبا) لم يكن في بغداد احسن منها صورة ولا اطيب صوتا فاصلحت انغام العود وضربت الحانا جالبة للنوم وغنيت فلم اتم النوبة حتى رأيته قد نعس ، فقطعت الغناء بغتة وقويت ضرب الاوتار فانتبه فقبلت الارض وقلت نام الملك فقال صدقت نمت • تمن علي • فقلت اتمنى على الملك ان يطلق (السميكة) • قال واي شيء هي السميكة ؟ قلت : بستان كان للخليفة (وتقع في منطقة السميكة الحالية شمالي بغداد) • فتبسم

وقال لاصحابه : هذا مسكين قصير الهمة وقال للترجمان : قل له لم لا تمنيت قلعة او مدينة ؟ اي شيء هو البستان ؟ قلت : البستان يكفيني وانا ما يجيىء مني ان اكون صاحب قلعة ولا مدينة . فأمر لي بالبستان وبجميع ما كان لي من الراتب في ايام الخليفة وزادني عليه وكتب لي بذلك فرمانا مكمل العلائم وخرجت من بين يديه . واخذ لي (بانونوين)منه اميرا بخمسين فارسا ومعهم علم اسود هو علم هولاكو الخاص به لحماية داري فجلس الامير على باب الدرب ونصب العلم الاسود على اعلى باب الدرب فبقى الامر كذلك الى ان رحل هولاكو عن بغداد » .

وتخلص الحي الذي كان يسكنه الارموي من اعتداء المغول ونجا اهله بفضل تدبيره . ولم تكن الحال كذلك في المناطق الاخرى من بغداد بل كانت الدروب والاسواق والبيوت غارقة بالدماء وتكدست جثث القتلى في الطرقات كالتلول ثم وقعت الامطار عليهم ووطئتهم الخيول فاستحالت صورهم وصاروا عبرة لمن يرى . وعندما نودي بالامان خرج الاحياء منهم من المخابيء والآبار والقنوات وقد تغيرت الوانهم وذهلت عقولهم لما شاهدوا من الاهوال وهم اشبه بالموتى ، وقد علاهم الاصفرار من الخوف والجوع والبرد . وعندئذ رحل هولاكو عن بغداد عائدا الى بلاده بعد ان اصبح المقام لا يطيب له فيها لفساد هوائها . وكان عدد القتلى فيها قد زاد عن ٨٠٠ ألف شخص عدا من القي من الاطفال في الوحول ومن هلك في الاقنية والآبار وسراديب الموتى جوعا وخوفا . وتفسخت جثث الموتى فانتشرت الروائح الكريهة المنبعثة

منها حتى صار الناس يشمون البصل لكثرة الجيف ! وتكاثر الذباب فملأ الفضاء وكان يسقط على الاطعمة فيفسدها . واصبحت بغداد خرابا، فقد احرق معظم البلد وانتشرت الامراض فيمن تخلف بعد القتل لانتشار العفونة من الجثث واصبح الناس يشربون الماء الممتزج بالجيف[٦] .

وتولى امر بغداد بعد رحيل هولاكو الامير علي بهادر والوزير مؤيد الدين بن العلقمي الذي لم يقتله هولاكو بل اقره في منصبه السابق ، وكان المؤرخون قد اتهموا هذا الوزير بالخيانة لاتصاله بهولاكو سرا وتشجيعه للزحف على بغداد . ومهما كانت صحة هذا الاتهام من عدمها فان العلقمي لا يمكن تبرئته من التقصير والاهمال باعتباره المسؤول الثاني بعد الخليفة .

وظل الارموي يتمتع بمكانة مرموقة خلال فترة الاحتلال المغولي لبغداد غير انها لم تكن كما في عهد دولة الخلافة فلم يكن هناك أمن ولا استقرار ولا شعور بالحرية والكرامة . وقد كلفه نصير الدين الطوسي مرة في نقل رسالة الى اهالي بغداد سنة ٦٦١ هـ يدعوهم فيها الى الرضوخ لحكم الدولة المغولية التي « ملكت البلاد وغلبت العباد وقهرت الدول واخذت السبل واستولت على الممالك والمسالك ... من مطلع الشمس الى قريب من مغربها ... الخ »[٧] .

---

(٦) الحوادث ص ٣٣٠ ـ ٣٣١

(٧) تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي ـ الجزء الرابع ـ القسم الثالث ـ ص ٥٥٦

وكان الارموي يأتيه من الرزق كل سنة اكثر من ستين الف دينار ذهبا ، بعضها من الاثرياء الذين كان قد انقذ حياتهم من اعتداء المغول ، والباقي من نعم الخليفة وهباته السابقة له والتي كان قد وفرها لمثل هذا اليوم . وقد سأله المؤرخ الاربيلي الذي اورد قصته هذه عن المرتب وبستان (السميكة) فقال : البستان اخذه مني اولاد الخليفة (الذين نجوا من القتل) وقالوا هذه ارثنا من ابينا ، والعلوفة قطعها عني الصاحب شمس الدين الجويني وعوضني عنها وعن البستان ستين الف درهم .

وكان الارموي قد اتصل بالصاحب شمس الدين الجويني واخيه الصاحب علاء الدين عطا ملك الجويني[٨] وولي لهما (ديوان الانشاء) ببغداد وتقرب منهما الى درجة المنادمة وضاعفا له الانعام . ويروي صاحب (المنهل الصافي) ان الارموي كان قد قدم الى دمشق صحبة الوزير عطا ملك بتجمل زائد وثروة كبيرة .

---

(٨) شمس الدين محمد بن محمد الجويني صاحب ديوان الممالك واخوه علاء الدين عطا ملك الجويني كان قد اسند اليهما الحكم في العراق سنة ٦٥٧ هـ اي بعد غزو هولاكو بعام واحد حيث عملا على تعمير بغداد بعد خرابها وتسيير الامور فيها . وقد تزوج الصاحب علاء الدين من ارملة احمد ابي العباس بن الخليفة القتيل (المستعصم) ثم حدثت اضطرابات في بغداد فسجن وصودرت امواله ثم اطلق سراحه بعدئذ على زمن السلطان احمد . فلما تولى ارغون السلطنة في العراق اختفى علاء الدين وتوفي بعد الاختفاء بشهر واحد . اما شمس الدين فانه لما بلغه جلوس السلطان ارغون على العرش هرب ثم ندم ورجع الى السلطان يستعطفه ولكن هذا امر بقتله فقتل ودفن في تبريز الى جانب اخيه علاء الدين .

وكان هذا الوزير يهتم بالموسيقى ويجمع المغنين عنده • وعندما علم ان المغني لطيف الدين البحراباذي الذي يعرف بابي الطـرب موجودا في ايران اراد ان يجمعه مع صفي الدين الارموي عنـده ببغداد فارسل بطلبه فامتثل البحراباذي الامر وتوجه اليه ولكنه مات في الطريق[٩] •

وتغيرت الحال بعد موت علاء الدين وقتل شمس الدين اذ زالت سعادة الارموي وساءت به الحال في صحته ورزقه وعيشـه وركبته الديون وعجز عن السعي بعد ان كثر اولاده واحفـاده واصبح في غاية الشيخوخة • وقال الشريف ابن الطقطقى : مـات صفي الدين عبدالمؤمن (الارموي) محبوسا على دين كان لمجـد الدين عبدالكريم غلام ابن الصباغ وكان مبلـغ الديـن ثلاثمائـة دينار ••• وكان ينفق امواله على الملاذ ويبالغ في عمل الحضرات البديعة • وكان ثمن المشموم والفاكهة اربعة آلاف درهم[١٠] ، وكان يتنعم كثيرا •

وقد توفي الارموي ببغداد يوم الاربعاء ، وقيل يوم الاثنين ١٨ صفر سنة ٦٩٣ هـ ، المصادف ١٨ كانون الثاني ١٢٩٤ وله من العمر ثمانون عاما • وقد خلف من الاولاد ابنا اسمه محمد ورد ذكره في اجازة ابن الصيقل الجزري ووصف بانه (السيد الاجل الاوحد الصاحب الكبير جلال الدين محمد بن الصدر الكبير العالم الفاضل

---

(٩) تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي ــ الجزء الخامس ــ القسم الثاني ــ ص ١٤

(١٠) جاء في فوات الوفيات انها اربعمائة درهم

العلامة صفي الدين عبدالمؤمن بن فاخر) واشير فيها الى انه سمع من ابن الصيقل الجزري سنة ٦٧٦ هـ برواق المستنصرية من اول المقامة الثالثة اللاذقية الى آخر المقامة العشرين العانية[١١] .

وذكر ابن الفوطي ولدا ثانيا له اسمه (عزالدين علي) وكـان كاتبا مجيدا ، وقد توجه لعمل الداقر (كذا) بطريق خراسان فمات في زاوية ابن سكران في صفر سنة ٦٧١ هـ[١٢] . وابن سكران هو الشيخ الصالح محمد بن السكران ولا يزال مرقده موجودا بالقرب من الراشدية بطريق الخالص .

وذكر ابنا اخر له اسمه (كمال الدين ابو الفضل احمـد) وقال عنه انه من البيت المعروف بالفضل والادب ... ولي الاعمال الجليلة ، وهو بغدادي المولد ، قرأت بخطه :

ولقـد رأيتـك في المنـام كانني
اسـقيتني مـن ريـق فيك البـارد
فظللـت يومـي كلـه متراقـدا
لأراك في نومـي ولسـت براقد[١٣]

---

(١١) تاريخ علماء المستنصرية ج ١ ص ٢٧٤

(١٢) تلخيص مجمع الآداب ــ الجزء الرابع ــ القسم الاول ــ ص٢٥٣

(١٣) المصدر السابق ــ الجزء الخامس ــ القسم الاول ــ ص ١٢٠

الفصل الخامس

التراث الموسيقي
في مؤلفات الارموي

كان صفي الدين الارموي احد نوابغ الموسيقى العربيـة ومن الذين عملوا على تجديدها وتهذيبها وتقديم دراسات عنها • وهو من المؤلفين القلائل الذين تركوا عددا من المؤلفات التي تبحث في الموسيقى وعلم الصوت • وقد عرف من مؤلفات الارموي الكتب التالية التي بقي بعضها بين ايدنيا وهي :

١ ـ كتاب الأدوار(١)

ويبحث في الانغام فيعرف النغمة انها (صوت لابث زمانا ما ، على حد ما من الحدة والثقل ، محنون اليه بالطبع) ويوضح اختلاف النغمة اذا خرجت من الوتر او نصفه اوربعه وهنا يفرق بين حـدة الصوت وثقله ويذكر ان اسباب ثقل الصوت هي طول الوتر وغلظه وارتخاؤه في الآلات ذوات الاوتار • اما في آلات النفخ كالمزمـار والناي فان اسباب الثقل هي سعة الثقوب الموجودة في الآلة وبعدها

---

(١) ورد اسمه باشكال اخرى منها (الادوار في الموسـيقى) و (الادوار في معرفة النغم والادوار) و (الادوار في معرفة النغم ونسب ابعادها) و (الادوار والايقاع) .

عن فم النافخ . كما يبحث في تسوية اوتار العود والدساتين (مواضع الاصبع) ، وفي الادوار المعروفة في ذلك الوقت وتأثير الانغام على النفس ان كانت تبعث على الفرح او الحزن او الشجاعة. وهو يورد في هذا الكتاب طريقة تسجيل اللحن وايقاعه وضبطه بالحروف والارقام كما في اغنية (على صبكم ياحاكمون ترفقوا) واغنية (على الهجر لا والله ما انا صابر) وقد جاء ذكرهما في فصل سابق . واول الكتاب هو : « الحمد لله رب العالمين .... اما بعد فقد امرني من يجب علي امتثال اوامره والتيمن بالسعي في مسالك مرامي خواطره ان اصنع له مختصرا في معرفة النغم ونسب ابعاده وادواره وادوار الايقاع وانواعه على نهج يفيد العلم والعمل فبادرت الى امره ممتثلا » وهو يشتمل على الفصول التالية :

الفصل الاول : في تعريف النغم وبيان الحدة والثقل .
الفصل الثاني : في تقسيم الدساتين
الفصل الثالث : في نسب الابعاد
الفصل الرابع : في الاسباب الموجبة للتنافر
الفصل الخامس : في التأليف الملائم
الفصل السادس : في الادوار ونسبها
الفصل السابع : في حكم الوترين
الفصل الثامن : في تسوية اوتار العود واستخراج الادوار منه
الفصل التاسع : في الادوار المشهورة
الفصل العاشر : في تشارك نغم الادوار
الفصل الحادي عشر : في ادوار الطبقات

الفصل الثاني عشر : في الاصطحاب غير المعهود

الفصل الثالث عشر : في ادوار الايقاع

الفصل الرابع عشر : في تاثير النغم

الفصل الخامس عشر : في مباشرة العمل

وهذا الكتاب لا يزال مخطوطا ولم يحقق الى حـد الآن[٢] ويوجد نسخ خطية كثيرة منه في اماكن متعددة من العالم[٣] .

---

(٢) قام الدكتور حسين علي محفوظ بتصوير الكتاب نقلا عن نسخة خطية في مكتبته يرجع تاريخها الى سنة ٨٨٢ هـ ونشره مع مقدمة له (بدون تحقيق او شرح) وذلك سنة ١٩٦١

(٣) توجد نسخ خطية من كتاب الادوار في مكتبة المتحف العراقي برقم ٩٤٢٨ مصورة بالفوتو ستات عن نسخة جامع نور عثمانية باستانبول التي برقم ٣٦٥٣ ونسخة اخرى منقولة عن تلك النسخة برقم ١٢٦٤٠ ونسخة في مكتبة المتحف البريطاني برقم OR. ١٣٦ وبرقم OR. ٢٣٦١ وفي المكتبة البودلية برقم ١٦١ Marsh. وبرقم ٥٢١ . Marsh. ، وفي مكتبة الكلية الشرقية بجامعة لينينغراد برقم ٤٧٤ ، وفي المكتبة الوطنية بباريس برقم ٢٨٦٥ وفي دار الكتب المصرية برقم ٣٤٩ (فنون جميلة) مصورة عن نسخة جامع نور عثمانية وبرقم ٤٢٨ (فنون جميلة) و ٥٠٧ (فنون جميلة) . وفي مكتبة جامع محمد الفاتح باستانبول برقم ٣٦٦١ وفي مكتبة جامعة كولومبيا بنيويورك برقم OR. ٣٠٦ وفي مكتبة جامعة ييل بامريكا برقم ١٢٥ وفي مكتبة الحاج هاشم الرجب وهي مصورة عن نسخة جامع نور عثمانية ويرجع تاريخها الى سنة ٦٣٣ هـ وفي مكتبة مجلس النواب الايراني وفي مكتبة دائرة المستشـار الفني في وزارة الاعلام ببغداد .

وقد اهتم الباحثون والموسيقيون الذين جاءوا بعد الارموي بكتاب الادوار فتناولوه بالشرح والتعليق ، وكتب بعضهم على نمطه ومن ذلك الكتاب الذي ألفه شهاب الدين عبدالله الصيرفي المتوفى سنة ٧٤٢ هـ (١٣٤١ م) للسلطان اويس وسماه (خلاصة الافكار في معرفة الادوار) ونهج فيه نهج صفي الدين وخالفه في بعض الآراء وهو يبحث في الانغام وتأثيرها في النفس وتوجد نسخة خطية منه عند مرزا جلال الدين همائي الاصفهاني من مؤرخي ايران ، على ما ذكره المرحوم عباس العزاوي في كتابه (الموسيقى العراقية).

ومن ذلك ايضا كتاب (شرح الادوار) لعبد القادر المراغي المتوفى سنة ٨٣٧ هـ وهو شرح لكتاب الارموي . وقد ورد له ايضا كتاب (زبدة الادوار) الذي ذكره العزاوي والذي جعله الدكتور حسين علي محفوظ هو وكتاب الشرح كتابا واحدا باسم (زبدة الادوار في شرح رسالة الادوار)[٤] . كما ذكر للمراغي كتاب آخر هو (كنز الالحان في علم الادوار) وذكر لابنه نور الدين كتاب (مقاصد الادوار) الذي قدمه للسلطان بايزيد سنة ٨٨٦ هـ . ولحفيده عبدالعزيز رسالة (نقاوة الادوار) وكلها تعتمد على كتاب الادوار للارموي .

ولفخر الدين محمد بن محمد الخجندي رسالة في شرح الادوار للارموي ، توجد نسخة خطية منها في المتحف البريطاني بلندن برقم ٨٢٣[٥] . وهناك شرح الادوار لابن مباركشاه كتبه على بن

---

(٤) معجم الموسيقى العربية ــ ص ١٣٧
(٥) رائد الموسيقى العربية ــ ص ٢٤



الصفحة الاولى من كتاب الادوار

محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني ، جاء ذكره في الضوء اللامع للسخاوي ، وقد سمي هذا الشرح باسم مباركشاه الذي هو استاذ الجرجاني وشيخه وتوجد نسخة مصورة منه في مكتبة دائرة المستشار الفني ببغداد •

كما هناك كتاب آخر باسم (شرح الادوار) مؤلفه مجهول يحتوي على نقد للارموي الذي طعن في آراء الفارابي في قواعد الصوت وتوجد نسخة خطية منه في المتحف البريطاني برقم ٧٤٧١ Add. [٦] ويذكر الاستاذ العزاوي[٧] انكتاب الادوار ترجمه الى التركية شكرالله بناحمد الاماسيوي فياوائل القرن التاسعالهجري ونشر في مجلة (شهبال) ، كما ترجم الى الفارسية بتراجم مختلفة لعديدين • وذكر من شروحه (شرح لطف الله السمرقندي) وقد ترجمه الى الفرنسية البارون دير لانجيه وطبع فيباريس سنة١٩٣٨ •

٢ ــ الرسالة الشرفية في النسب التاليفية :

وتبحث في تكون الصوت واهتزاز الاوتار في الآلات المصوتة ونسبة ارتفاع الاصوات الى ابعاد الاجسام المحدثة للصوت وتغير الصوت بتغير اطوال الاوتار في الآلات الموسيقية • وقد بين الارموي في هذا الكتاب ان جميع الانغام الموجودة في الوجود يمكن ان تحدث في وتر واحد ، كما شرح فن الايقاع وازمنته

---

(٦) المصدر السابق ــ ص ٥٨

(٧) الموسيقى العراقية ــ ص ٣٢

وعلاقته بالميزان الشعري والربط بين تفعيلات العروض ونقرات الايقاع . وهذا الكتاب اكثر عمقا في فنون الموسيقى من كتاب الادوار واكثر تفصيلا منه .

وقد كتب الارموي هذا الكتاب لتلميذه شرف الدين هارون ابن الصاحب شمس الدين محمد الجويني الذي تولى الحكم في بغداد سنة ٦٨٢ هـ بعد عمه الصاحب علاء الدين[٨] وسماه باسمه (الرسالة الشرفية) واوله : « احمد الله على آلائه واشكره على سوابغ نعمائه .... هذه رسالة تشتمل على علم النسب التأليفية على نهج اسسه القدماء من حكماء اليونان مضافا الى زيادات تابعة لم اجدها في شيء من مصنفاتهم ولا في شيء من كتب المحدثين من بعدهم ، خدمت بها خزانة المولى الصاحب الاعظم مولى المكارم والكرم ... ولي الدين وشرفه ، شمس الاسلام والمسلمين ، مالك ازمة العلوم والآداب هارون بن المولى الصاحب الاعظم العالم العادل ... صاحب ديوان الممالك شمس الدين محمد بن محمد

---

(٨) ظهرت اسرة الجويني الحاكمة في العراق بعد احتلال المغول لبغداد واشتهر فيها الصاحب شمس الدين والصاحب علاء الدين وقد مرت ترجمتهما ، وكذلك شرف الدين هارون بن شمس الدين وهو الذي الف الارموي هذا الكتاب له ، وكان قد حكم العراق فترة من الزمن حتى تولى السلطان ارغون العرش فقضى على اسرة الجويني ، وكان شرف الدين في حدود الروم فامر بقتله وذلك سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م) . واصل هذه الاسرة من جوين (بضم الجيم وفتح الواو) من بلاد نيسابور ، وصفها ياقوت الحموي بقوله :

(مليحة نزهة متصلة العمارة كثيرة القني والبساتين)

ابن محمد الجويني ... وذلك حسب اشارته الشـريفة واوامره المطاعة وهي تشتمل على خمس مقالات :

المقاله الاولى : في الكلام على الصوت ولواحقه وفي شكوك واردة على هذا الفصل

المقالة الثانية : في حصر نسب الاعداد بعضها الى بعض واستخراج الابعاد ونسبهاالمستخرجة من نسب مقاديرها ومراتبها في المتلائم والمتنافر واسمائها الموضوعة لها .

المقالة الثالثة : في اضافات الابعاد بعضها الى بعض وفصل بعضهـا عن بعض واستخراج الاجناس من الابعاد الوسطى .

المقالة الرابعة : في ترتيب الاجناس في طبقات الابعاد العظمى وذكـر نسبها واعدادها .

المقالة الخامسة : في الايقاع ونسب ادواره وفي السلوك الى كيفية اثبات الالحان كتابة .

ويحتوي الكتاب كما في كتاب الادوار على كثير من الرسوم والدوائر الايضاحية والجداول . والرسالة الشرفية هي الاخرى لا تزال مخطوطة ولم تظهر لها اية طبعة محققة او مدروسة حتـى الآن ولكن البارون كـارادي فـو Carra de Vaux نشـر

في اوربا ملخصا لها باللغة الفرنسية سنة ١٨٩١ • ثم ترجمها كلها الى الفرنسية دير لانجية سنة ١٩٣٨ وتوجد الآن عدة نسخ خطية من هذا الكتاب في كثير من مكتبات العالم[٩] •

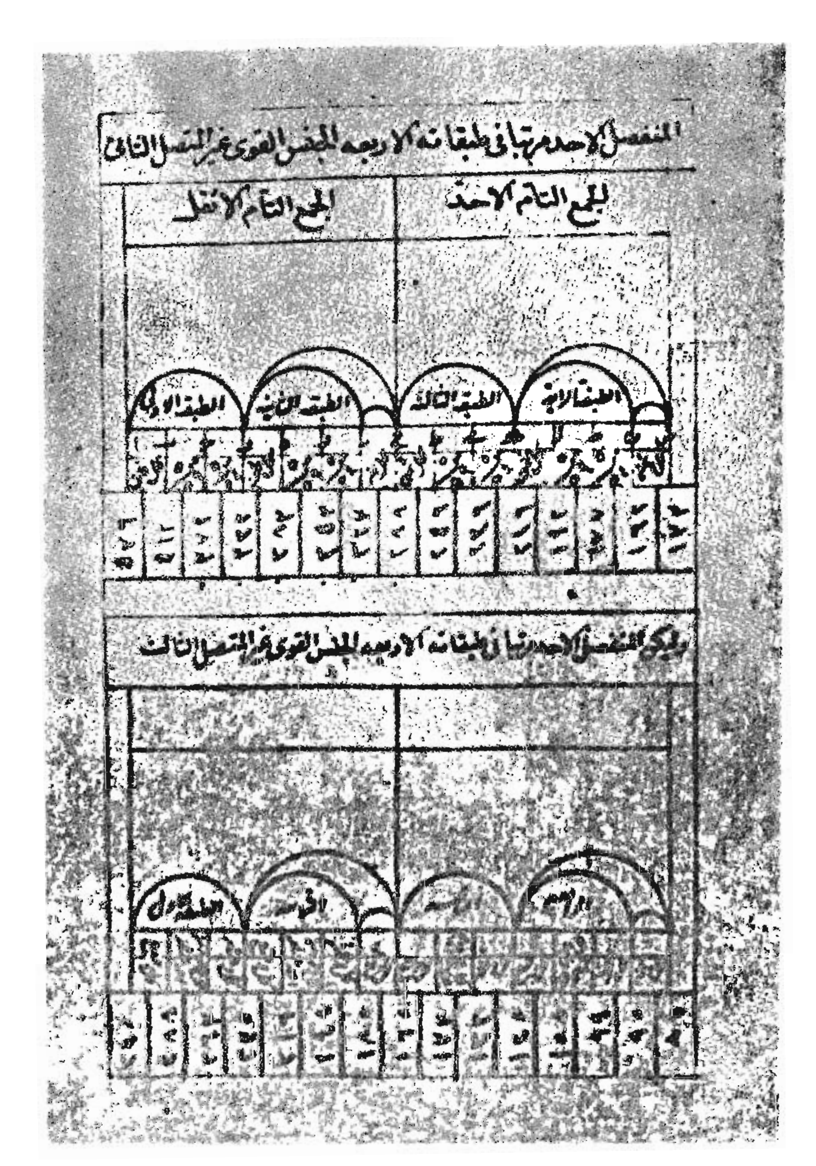
ويذكر المرحوم عباس العزاوي ان الرسالة الشرفية هي احدى المراجع المهمة التي اعتمد عليها محمد بن عبدالحميد اللاذقي في تأليف كتابه المسمى (الفتحية في الموسيقى)[١٠] •

---

(٩) توجد نسخ خطية منه في مكتبة فينا برقم ١٥١٥ فلوجل وفي دار الكتب المصرية برقم ٨ (فنون جميلة) ، وفي مكتبة بايزيد باستانبول برقم ٤٥٢٤ وفي مكتبة طوب قبو سراى برقم ٢١٣٠ وفي مكتبة ولي افندي باستانبول برقم ٢١٦٧ وفي المكتبة البودلية باوكسفورد برقم ١١٥ .Marsh وبرقم ٥٢١ .Marsh وفي مكتبة الدولة ببرلين برقم ٥٥٠٦ وتوجد نسخة مصورة عنها عند كل من المرحوم زكريا يوسف والحاج هاشم الرجب ببغداد ، ونسخة خطية في المكتبة الوطنية بباريس برقم ٢٤٧٩ وفي مكتبة الدكتور حسين علي محفوظ . ويوجد في مكتبة المتحف العراقي نسخة اخرى من الرسالة الشرفية رقمها ١٠٩٥ كتب عنوانها خطأ باسم (مختصر في علم الموسيقى تأليف محمد بن محمد الجويني) وقد نقل هذا الخطأ كل من عبدالحميد العلوجي في (رائد الموسيقى العربية ص ٢٠) والدكتور حسين علي محفوظ في (معجم الموسيقى العربية ص ٢١٢)

(١٠) الموسيقى العراقية ـ ص ٦٤

الصفحة الاولى من الرسالة الشرفية



رسوم ايضاحية ترد بكثرة في الرسالة الشرفية

٣ ـ كتاب الايقاع :

وهو رسالة كتبها بالفارسية وتبحث في فن الايقاع وقد ترجمها الى التركية شكر الله بن احمد الاماسيوي على ما ذكره المرحوم العزاوي الذي وقع في خطأ حول هذه الرسالة وهو اعتباره (رسالة الدر النقي في علم الموسيقى) لاحمد بن عبدالرحمن القادري الرفاعي التي نقلها عن اصل فارسي[11] انها رسالة الايقاع للارموي حيث التبس عليه الامر وظن ان عبدالمؤمن البلخي مؤلف رسالة (الدر النقي) هو صفي الدين عبدالمؤمن الارموي ، ولم يكن صفي الدين الارموي يسمى بالبلخي ، كما ان رسالة (الدر النقي) لا تبحث في الايقاع مطلقا وكل بحثها يدور حول المقامات وطبائعها، فضلا عن ان الارموي لم يذكر كلمة (المقامات) في مؤلفاته الموسيقية وان هذا الاصطلاح ظهر بعد عصر الارموي ولم يكن معروفا في زمنه . وقد نقل هذا الخطأ عدد من الباحثين وذلك بان جعلوا رسالة (الدر النقي في علم الموسيقى) من مؤلفات الارموي دون ان يكون لديهم دليل في ذلك .

٤ ـ كتاب (في علوم العروض والقوافي والبديع) :

وهو يتناول بحور الشعر وقوافيه والبلاغة ولا علاقة له بالموسيقى . ذكره فارمر في تاريخه وتوجد نسخة خطية منه في المكتبة البودلية باكسفورد .

---

(١١) رسالة (الدر النقي في علم الموسيقى) وضعها بالفارسية عبد المؤمن البلخي ونقلها الى العربية الشيخ احمد بن عبدالرحمن القادري الرفاعي الشهير بالمسلم الموصلي ، وقد نشرها مع التعليق عليها الشيخ جلال الحنفي واصدرتها وزارة الاعلام سنة ١٩٦٤ .

ملحق بأشهر الموسيقيين والمغنين الذين ظهروا في بغداد منذ تأسيسها حتى سقوطها بيد المغول

كان صفي الدين الارموي خاتمة الموسيقيين المشهورين في بغداد ، وبوفاته انتهى عصر الموسيقى العربية الزاهر • ولذلك وضعنا هذا الملحق ليتضمن التعريف باشهر الموسيقيين والمغنين الذين سبقوا عصره والذين ظهروا في بغداد او عاشوا فيها منذ تأسيسها على يد ابي جعفر المنصور سنة ١٤٥ هـ حتى سقوطها وتدميرها بيد هولاكو سنة ٦٥٦ هـ • وقد رتبنا اسماءهم حسب التسلسل الزمني مع اعتبار انهم كانوا معاصرين احيانا لبعضهم حسبما ترويه المصادر المختلفة التي اعتمدنا عليها •

يزيد حوراء

ابو خالد يزيد حوراء ، وهو من اهل المدينة من موالي بني ليث ، وهو مغن محسن كثير الصناعة من طبقة ابراهيم الموصلي وكان ممن قدم على المهدي في خلافته فغناه ، وكان حسن الصوت حلو الشمائل ظريفا • وهو صديق ابي العتاهية الشاعر ؛ فكان هذا يطلب منه ان يكلم المهدي في امر عتبة التي يهيم بحبها ابو العتاهية والتي وعده المهدي بتزويجها له ، فينظم ابو العتاهية شعرا في استعطاف المهدي ويلحن يزيد حوراء هذا الشعر ويغنيه امام الخليفة المهدي •

سياط المغني

وهو عبدالله بن وهب ولقبه (سياط) ، وكان مقدما في الغناء والضرب على العود وهو استاذ ابراهيم الموصلي، عاش في زمن الخليفة المهدي وكان يحضر مجلسه ويغني له • ويروى عن ابراهيم الموصلي انه غنى يوما لحنا لسياط فسأله ابنه اسحاق : لمن هذا اللحن ياأبي ؟ فقال له : لمن لو عاش ما وجد ابوك شيئا يأكله ، ويقصد به المغني سياط ويعترف بفضله عليه •

ومر سياط على ابي ريحانة المدني في يوم بارد وهو جالس في الشمس وعليه ثوب رقيق رث فوثب اليه ابو ريحانة وصار يلتمس منه ان يغني قوله :

فؤادي رهين في هـواك ومهجتـي
تذوب واجفانـي عليـك همـول

فغناه اياه ، فشق ابو ريحانة قميصه من الطرب ورجع عاريا الى موضعه من الشمس وقد ازداد بردا وارتجافا فلامه رجـل في ذلك فاجابه : يا ابن اخي ان الشعر الحسن من المغني الحسن ادفأ للمقرور من حمام محمى !

أبن جامع

وهو اسماعيل بن جامع السهمي ، حجازي الاصل ، قـدم الى العراق في زمن الخليفة المهدي وغنى امام الهادي والرشيد • وكان هارون الرشيد يقدمه على غيره من المغنين لحسن صوته واتقانه

الغناء حتى انه كان ينافس في ذلك ابراهيم الموصلي وغيره من المغنين ويتفوق عليهم فيثير حسدهم •

وحدث مرة ان افرط ابن جامع في شرب الخمر وعندما غنى قال بعض الحاضرين : لقد خرج ابن جامع عن الايقاع فقال ابراهيم الموصلي : اقسم بالله انه يعطس ويسعل منذ ثلاثين سنة على الايقاع •

ابراهيم الموصلي

وهو ابراهيم بن ميمون بن بهمن ، ولد بالكوفة عام ٧٤٢ م ولقب بالموصلي لانه سافر الى الموصل فاقام فيها فترة من الزمن تلقى خلالها دروسه الاولى في الموسيقى • ولما احس بمقدرته على الغناء سافر الى الري حيث حصل على معرفة واسعة بالغناء الفارسي والعربي ، واستقر به المقام بعدئذ في بغداد ثم اتصل بالخليفة المهدي ومن بعده بالهادي والرشيد ولمع اسمه ونال شهرة عظيمة بالغناء والموسيقى حتى نسب اليه ما لا يقل عن ٩٠٠ لحن ، وكان لا ينافسه في تلحينه احد • ونسب اليه الايقاع بالقضيب ، وتخرج عليه عدد كبير من الموسيقيين في ذلك العصر • وكان يستطيع ان يميز الخطأ الذي يحدث على احد اوتار العود اذا عزفت عليه جارية من بين ثلاثين جارية يعزفن كلهن اللحن ذاته فيذكر اسم الجارية التي اخطأت في العزف ويذكر الوتر الذي خرجت عليه دون بقية العازفات • وقد خلفه في فنون الموسيقى والغناء ابنه اسحاق الذي يعد من ابرز تلاميذه وقد توفي ابراهيم الموصلي ببغداد سنة ١٨٨ هـ (٨٠٤ م)

اسحاق الموصلي

ابن ابراهيم الموصلي، وكان الرشيد يقربه اليه ويكنيه ابـا صفوان . اشتهر بالعلم والادب والشعر الى جانب الموسيقى والغناء، وكان المأمون يقول عنه انه لولا ما سبق على السنة الناس واشتهر به من الغناء لوليته القضاء . وكان الغناء اصغر علومه ومع ذلـك فقد فاق جميع المغنين في زمانه ، وهو الذي صحح اجناس الغنـاء وطرائقه وميزه تمييزا لم يقدر عليه احد قبله . وكان مرة في مجلس الخليفة الواثق فضرب على عود مضطرب الاوتار فلم يخرج عـن اللحن حتى انتهى من غنائه . وكان ينظم الشعر ويلحنه ويغنيه . وقال الواثق : ما غناني اسحاق قط الا ظننت انه قد زيد لـي في ملكي .

وقد سأل اسحاق الموصلي المأمون ان يكون دخوله اليه مع اهل العلم والادب والفقه لا مع المغنين فاذا اراده للغناء غناه ، فاجابه الى ذلك . وكان المغنون جميعا يحضرون مجلس الخليفة ومعهـم عيدانهم الا اسحاق فانه كان يحضر بلا عود فاذا امره الخليفة ان يغني احضر له عود .

وكان اسحاق يجيد الضرب على الآلات الموسيقية المختلفـة الى جانب العود وقد غنى لعدد كبير من الخلفاء هم الرشيد والامين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، وتوفي ببغداد في اول خلافة المتوكل سنة ٢٣٥ هـ .

ابراهيم بن المهدي

ابراهيم بن الخليفة المهدي العباسي بن ابي جعفر المنصور • اشتهر بالغناء وكان في اول امره لا يتظاهر به ولا يغني الا من وراء ستار ترفعا منه عن التشبه بالمغنين ، ولا يفعل ذلك الا بعد ان يدعوه اخوه الرشيد في خلوة فيغني له • ثم صار يغني للامين بعده• فلما ادعى الخلافة بعد مقتل الامين حكم عليه المأمون بالقتل فاختفى منه وامر المأمون بالبحث عنه ، ثم عفى عنه وامنه من القتل وعندئذ تظاهر ابراهيم بن المهدي بالغناء وتهتك به وشرب النبيذ بحضرته ، وصار يخرج من عنده ثملا ومع المغنين وذلك لابعاد الشبهة عنه واظهارا انه تخلى عن فكرة المطالبة بالخلافة ، وانه لم يعد يصلح لها لانصرافه الى اللهو والغناء • ويروى عنه انه قال : لولا اني ارفع نفسي عن هذه الصناعة لأظهرت فيها ما يعلم الناس انهم لم يروا قبلي مثلي •

وكان ابراهيم بن المهدي حسن الصوت ومن اعلم الناس بالنغم والايقاع الا انه كان مقصرا عن اداء الغناء القديم فكان يحذف من الحان الاغاني حذفا شديدا يخففها على قدر ما يصلح له ويفي بادائه، فاذا عيب ذلك عليه قال : انا ملك وابن ملك ، اغني كما اشتهي وعلى ما التذ • ولذلك قيل انه أول من افسد الغناء القديم وجرأ الناس على تغييره • وقد قلده في هذا التغيير عدد من المغنين مثل مخارق وغيره • وتوفي ابراهيم بن المهدي سنة ٢٢٤ هـ •

علية بنت المهدي

اخت الرشيد ، مارست الغناء كاخيها ابراهيم بن المهـدي وكانت شاعرة تقول الشعر وتضع فيه الالحان الحسنة • وقيل مـا اجتمع اخ واخت لغناء احسن من ابراهيم بن المهدي واخته عليه • وكان لها من الاغاني اكثر من سبعين اغنية من الحانها ، وهي لا تغني الا امام اخوتها واولاد اخيها من الخلفاء • وقد توفيت سنة ٢١٦ هـ ولهـا من العمر خمسون سنة •

زريـاب

وهو ابو الحسن علي بن نافع وكان مولى للخليفة المهدي وتمتع بالعتق والحرية في صباه • و (زرياب) لقب اطلق عليـه تشبيها له بطائر اسود حسن الصوت • وقد أخذ زرياب الغناء في اول الأمر عن ابراهيم الموصلي ، ثم درس بعدئذ على ابنه اسحاق الذي وجهه توجيها جيدا في الموسيقى والغناء فبرع في ذلك • وفي يوم من الايام قابل زرياب الخليفة هارون الرشيد لاول مرة وغنى امامه فاعجب به الرشيد وعنف اسحاق الموصلي على كتمانه خبره عنه • فدفع الحسد اسحاق الى ان يتخلص من منافسـه هـذا ، واضطره الى مغادرة بغداد الى الاندلس ، وهناك حظي بعنايـة

عبدالرحمن بن الحكم فخصص له راتبا قدره مائتي دينار كل شهر وان يمنح في كل عيد الف دينار ، ويقطع له من المستغلات ما يساوي اربعين الف دينار ٠

وقد عمل زرياب على تطوير الموسيقى العربية فزاد وتـرا خامسا في آلة العود وكان الى ذلك الوقت من اربعة اوتار ٠ وهو اول من استعمل ريشة النسر في العزف على العود بعـد ان كـان يستعمل في ذلك مضراب من الخشب ٠ وهو الذي خلق في بـلاد الاندلس نهضة موسيقية ، ووضع قانونا خاصا بالغناء فجعـل الجلسة الموسيقية متكونة من ثلاثة فصول وقد خالف بذلك اسلوب استاذه اسحاق الموصلي ، وهو الاسـلوب الـذي يعتمـد علـى الاسترسال في الغناء ابتداء من الصوت الحاد (اي الجواب) وانتهاء بالصوت الغليظ (اي القرار) والذي كان يطلق عليه اسم (غناء الملسوع) ٠ وعمل زرياب على اقامة اول مدرسة للموسيقى والغناء في الاندلس لتخريج الموسيقيين والمغنين ، فكان يختار التلاميذ الذين تناسب اصواتهم مثل هذه الدراسة ويجري لهم امتحان المقابلة ، وجعل للفرقة الموسيقية لباسا خاصا ٠

وكان زرياب يحفظ عشرة آلاف لحنا ، وقد عاصر من الخلفاء في بغداد المهدي والهادي والرشيد الذي غادر العراق على زمنه ، وتوفي في الاندلس سنة ٢٣٨ هـ ٠

منصور زلزل

وهو خال اسحاق الموصلي واستاذه الذي علمه الموسيقى والايقاعات ، وكان موسيقيا عظيم القدر ، ويقول عنه مؤلف العقد الفريد انه كان اضرب الناس للوتر ، ولم يكن قبله ولا بعده مثله . وقد شهد اسحاق الموصلي في بلاط الواثق انه لا يوجد من يضارع زلزل في الضرب على العود . وقد اجرى زلزل على هذه الآلة تحسينات عديدة وابتكر (العود الشبوط) الذي استعمل بدلا من العود الفارسي . ويعزى اليه استعمال البعد الشرقي الذي حدد طبيعة السلم العربي باستعماله دستان ما بين السبابة والبنصر والذي سمي باسمه (وسطى زلزل) .

وكان الرشيد قد غضب على زلزل وزج به في السجن حيث بقي فيه اعواما طويلة وعند اطلاق سراحه كان في غاية البؤس وكانت صحته في تدهور وضعف فتوفي عام ٧٩١ م . والى زلزل تنسب البركة التي قام بحفرها في الجانب الغربي من بغداد وسميت باسمه (بركة زلزل) وكان قد اوقفها لاهل بغداد .

منيم الهشامية

جارية لعلي بن هشام تعلمت الغناء على اسحاق الموصلي وعلى ابيه ابراهيم ، وكانت من احسن الناس وجها وغناء وأدبا ، تقول الشعر الجيد ، وكانت تغني للمأمون وتطارحه الشعر ، ثم غنت امام المعتصم وقد توفيت في خلافته .

مخارق

وهو مخارق بن يحيى بن ناوس الجزار ، مولى الرشيد ، عرف بطيب الصوت منذ طفولته • وبلغ منزلة عالية بعد ذلك بين كبار المغنين • وكان ابراهيم الموصلي يقدمه ويخصه بالتعليم لما يتبينه فيه من نباهة ونبوغ • وكان اسحاق الموصلي يفضله على ابراهيم بن المهدي في فن الغناء • وقد غنى مخارق امام الرشيد والخلفاء الذين بعده ولقي منهم كل تكريم • وكانت وفاته في اول خلافة المتوكل •

علّويه

وهو علي (ودعي علوية بفتح الاول وتشديد الثاني وضمه) بن عبدالله بن سيف ، من المغنين الحاذقين الذين درسوا على ابراهيم الموصلي ، فبرع بالغناء وغنى للامين والمأمون وعاش الى ايام المتوكل • وكان علوية اعسر فجعل عوده مقلوب الاوتار اي ان الوتر الغليظ في اسفل الاوتار والوتر الحاد في اعلاها ، فيكون عوده مقلوبا في يد غيره وصحيحا في يده • وكان الواثق يقول : احذق الناس بالغناء بعد اسحاق الموصلي علويه ، وهو مثل نقر الطست يبقى ساعة في السمع بعد سكوته •

وقد توفي علوية بعد اسحاق الموصلي بفترة وجيزة ، وسبب موته انه ظهر بجسمه نوع من الجرب فشكى ذلك الى احد الاطباء فارسل اليه دواء مسهلا وطلاء يدهن به ، فدهن بالدواء المسهل وشرب الطلاء ! فسبب ذلك موته •

فليح بن أبي العوراء

وهو بالأصل من اهل مكة وعاش في بغداد واشتهر بالغناء ، وهو احد الثلاثة الذين اختاروا المائة صوت للرشيد • وكان المهدي يسمع المغنين جميعا ويحضرون مجلسه فيغنونه من وراء الستارة لا يرون وجهه الا فليح بن ابي العوراء فانه كان يغني امامه وجها لوجه من دون ستارة •

سليم بن سلام

ابو عبدالله سليم بن سلام • تعلم الغناء على ابراهيم الموصلي فبرع فيه واجاده• وكان يغني امام الرشيد فينال عطاءه• وقد عرف بحسن الصوت • وكان مولعا بالاهزاج وهو ضرب من الغناء • وقد ذكر عنه انه كان موصوفا بالبخل وقد خلف ثروة عظيمة من المال الا انها صودرت بعد وفاته •

أبو زكار الأعمى

وهو من اهل بغداد من قدماء المغنين ، وكان منقطعا الى البرامكة فيحضر مجالسهم ويغني لهم وكانوا يؤثرونه ويكرمونه •

وعندما امر الرشيد بقتل جعفر البرمكي ذهب مسرور الخادم لينفذ امر الخليفة فوجد ابا زكار الاعمى عنده يغنيه :

فلا تبعد فكل فتى سيأتي
عليه الموت يطرق او يغادي

ولــو يفــدي مــن الحدثــان شيء
فديتـــك بالطـــريف وبالتـــلاد

فقال مسرور : في هذا والله اتيتك • ثم اخذ بيد ابي زكار فأقامه وضرب عنق جعفر واخذ رأســه الى الرشيد •

الزبير بن دحمان

وهو احد المغنين المحسنين في الصنعة المتقنين لها ، قدم على الرشيد من الحجاز وغناه في اول مقابلة له اغنية نال عليها ثلاثين الف درهم وقربه الرشيد اليه • وكان الزبير بن دحمان ينافس اسحاق الموصلي في الغناء • وجمع الرشيد يوما جميع المغنين مثل ابراهيم الموصلي وابنه اسحاق وابن جامع وفليح وسليم بن سلام وغيرهم واعطاهم شعرا اوله :

ســلام عـــلى النــازح المغتــرب
تحيــة صـــب بـــه مكتئـــب

وقال لهم : ليعمل كل واحد منكم فيه لحنا • فعملوا فيه عشرين لحنا فما اعجبه منها الا لحن الزبير بن دحمان دون البقية واجازه عليه بجائزة سنية •

معبـد اليقطيني

كان معبد اليقطيني غلاما مولدا خلاسيا من اهل المدينة ، نشأ فيها واخذ الغناء من جماعة من اهلها • وبعد قدومه الى بغداد اتصل بكبار المغنين فيها مثل اسحاق الموصلي وابن جامع ، واخـذ عنهم الغناء العراقي • وكان اكثر انقطاعه الى البرامكة يغني لهـم وينال عطاءهم ولم يغن امام احد سواهم الا للخليفة الرشيد • وقد توفي ببغداد في زمن الرشيد •

فريدة الكبرى

مغنية مولدة نشأت في الحجاز ثم قدمت الى بغداد وعاشت فيها، وصارت الى البرامكة وكانت وثيقة الاتصال بهم • وعندما قتل جعفر البرمكي هربت وطلبها الرشيد فلم يجدها • وبعد وفاته صارت الى الامين ، فلما قتل خرجت فتزوجها الهيثم بن مسلم • وهي جيدة الغناء متقنة الصنعة •

بـذل

مغنية لها شهرة في الغناء ، ويقال انها كانت تغني ثلاثين الف لحن ، ولها كتاب في الاغاني منسوب الاصوات يشتمل على اثني عشر الف صوت (لحن) ، كتبته لعلي بن هشام • وكانت في الاصل جارية ابتاعها جعفر بن موسى الهادي فاخذها منه محمد الامـين واعطاه عوضا عنها مالا جزيلا • وقد كانت من احسن الناس غناء واكثرهم حفظا للالحان •

عريب

مغنية مشهورة وشاعرة جيدة الشعر، وهي تتقن الضرب على العود وتحسن المعرفة بالنغم والاوتار ، وتجيد لعب الشطرنج • وكانت خفيفة الروح حسنة الخطاب ، تحفظ الف لحن من الاغاني• وكانت تغني امام المأمون • وشهد لها يحيى بن اكثم قاضي القضاة ببغداد بجودة الغناء • وكثيرا ما كانت تنظم الشعر في مختلف الاغراض وتصوغ فيه اللحن المناسب وتغنيه • وقد غنت امام عدد من الخلفاء كالامين والمأمون والمعتصم •

يعقوب بن اسحاق الكندي

فيلسوف العرب وأحد ابناء ملوكها وهم ملوك كندة في العصر القديم • عكف على دراسة الفلسفة والهندسة والطب ونال منزلة عظيمة عند المأمون والمعتصم • ونبغ بالموسيقى وفنونها وله فيها ممارسات متقدمة منها انه كان في جوار بيته رجل من كبار التجار وله ابن يدير تجارته فاصيب ابنه هذا بمرض خطير وسبات فلم يدع طبيبا ببغداد الا واستدعاه لمعالجة مرضه فلم يجد لديهم ما ينقذه وعندئذ التمس من الكندي ان يزور ولده وينظر في علته ، فاجاب طلبه وجاء ونظر الى ابنه وجس نبضه ثم امر باحضار اربعة من تلاميذه في الموسيقى فلما حضروا امرهم ان يعزفوا عند رأسه الحانا بطريقة اوضحها لهم ، وهو ممسك بذراع المريض يجس نبضه وما زالوا يعزفون والمريض يقوى نبضه ويزداد تنفسه حتى تحرك

وجلس • فقال الكندي لابيه : سل ابنك عما تريد ان تعرفه من أمر تجارتك فسأله واخذ يكتب ما يقوله ، فلما اتى على جميع ما يريد سؤاله غفل الموسيقيون عن تلك الطريقة التي كانوا يعزفون بها فعاد المريض الى حالته الاولى • فسأله ابوه ان يأمرهم باعادة العزف فقال له الكندي : هيهات انما كانت صبابة قد بقيت من حياته ولا سبيل لزيادتها •

ومن اعمال الكندي في الموسيقى تقسيمه السلم الموسيقي العربي الى ١٢ نصف صوت كالمتبع في السلم الاوربي ، وتسميته الاوتار برموز خاصة مع تحديد اسم لكل نصف صوت بحسب الحروف الابجدية •

وللكندي في الموسيقى مؤلفات كثيرة نذكر منها رسالته الكبرى في التأليف وكتاب ترتيب النغم وكتاب المدخل الى الموسيقى ورسالة في الايقاع ورسالة في الاخبار عن صناعة الموسيقى وغيرها •

وكان بعض الناس يكيدون للكندي فوشوا به عند الخليفة المتوكل حتى ضربه واستولى على كتبه ولكنه عفى عنه بعد ذلك • وكانت وفاته بسبب اصابته بمرض في ركبته •

فريدة جارية الواثق

وكانت لعمرو بن بانه فاهداها الى الواثق • وكانت حسنة الوجه حسنة الغناء • وبعد وفاة الواثق تزوجها المتوكل فامتنعت عن الغناء امامه • فاقام عليها خادما وأمره ان يضربها او تغني ، وعندئذ اخذت تغني شعرا فيه تعريض بالموت واعتداد بالنفس •

أحمد بن صدقة

حجازي الاصل قدم الى بغداد وغنى امام المأمون والخلفاء الذين بعده ، واستحسن الناس غناءه وكثر المعجبون به فكسب بذلك اموالا كثيرة • وكان طنبوريا يجيد العزف على الطنبور وله في ذلك محسنات كثيرة وصنعة متقدمة • وهو يكثر من الارمال والاهزاج وما يجري مجراها • وسبب وفاته انه بلغه في يوم من الايـام خبر وفاة بنت له بالشام فتوجه اليها فخرج عليه بعض الاعراب فاخذوا ما معه وقتلوه •

شارية

من جواري ابراهيم بن المهدي ، اخذت عنه الغناء وبرعت فيه • وكانت تضرب على العود في ايام المتوكل • وقد غنت امـام المعتصم والواثق والمعتز واشتهرت بحسن الوجه وحسن الغناء • وكان الخلفاء العباسيون يتنافسون على سماع صوتها • وهي تكثر من غناء الحان مولاها ابراهيم بن المهدي واغانيه •

أبو نصر الفارابي

ابو نصر محمد بن طرخان ، من بلدة فاراب • عربي اللغة والثقافة والروح • اقام ببغداد واكتسب فيها ثقافته وعلومه ، ودرس الحكمة والمنطق والموسيقى ، وصار يلقب بالمعلم الثاني (بعد ارسطو) • وهو يعد من اشهر الفلاسفة العرب • ويقول عنه ابن ابي اصيبعة انه (كان في علم صناعة الموسيقى وعملها قد وصل الى غايتها واتقنها اتقانا لا مزيد عليه) • ويذكر انه صنع آلة موسيقية تشبه القانون يعزف عليها الحانا بديعة • وقصته مشهورة مع سيف الدولة الحمداني ، وكان قد حضر مجلسه وعزف امامه الحانا غريبة تثير العواطف المختلفة عند الانسان وتجلب البكاء او النوم للسامع • فاكرمه سيف الدولة وعظمت منزلته عنده •

وللفارابي مؤلفات كثيرة في الفلسفة والعلوم • وله في الموسيقى المؤلفات التالية : كتاب الموسيقى الكبير • كتاب في احصاء الايقاع • كتاب في النقلة مضافا الى الايقاع • كتاب احصاء العلوم الذي يتضمن جزءا خاصا بعلم الموسيقى • والكتاب الاول (الموسيقى الكبير) هو اهمها ويتضمن معلومات قيمة عن الموسيقى وعن قياسات الانغام وقد تم تحقيقه وطبعه وترجمته الى اللغات الاوربية •

وكانت وفاة الفارابي في دمشق سنة ٣٣٩ هـ •

معاصرو الأرموي

لم يشتهر احد بعد الفارابي بفنون الموسيقى ببغـداد حتى جاء الارموي ، اذ كانت الفترة بين عصريهما فترة عقم في فنـون الموسيقى والغناء ، فكان الارموي باعثا لنهضة موسيقية شـاملة وظهر في زمنه عدد من المغنين والموسيقيين الذين درسوا عليه أو تأثروا به امثال لحاظ وصبا وشمس الدين السهروردي وزيـن الدين بن البرهان الموصلي المتوفى ببغداد سنة ٦٨٧ هـ وياقوت المستعصمي الذي اشتهر بالخط والأدب والموسيقى ، والكمال التوريزي وشهاب الدين الصيرفي وله كتاب عـلى نهـج الادوار للارموي ، ونظام الدين بن الحكيم وكمال الدين بن البرهـان الصوفي وغيرهم ، وبوفاتهم انتهى عصر الموسيقى العباسية الزاهرة .

الفهـــارس

فهرست عام

ـ ا ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ج ـ

ـ ح ـ

ـ خ ـ

ـ د ـ

- ر -

- ز -

- س -

— ش —

ـ ص ـ

ـ ض ، ط ـ

ـ ع ـ

ـ ف ـ

ـ ق ـ

ـ ك ـ

ـ ل ـ

- م -

— ن —

— و —

- هـ -

- ي -

فهرست المصادر

الكتب المطبوعة

١ ـ الاغاني ـ أبو الفرج الاصفهاني ـ بيروت ١٩٥٦

٢ ـ تاريخ الحكماء المختصر من كتاب اخبار العلماء باخبار الحكماء ـ جمال الدين علي بن يوسف القفطي ـ طبع لايبزغ ١٩٠٣

٣ ـ تاريخ العراق بين احتلالين ـ عباس العزاوي المحامي ـ بغداد ١٩٣٥ .

٤ ـ تاريخ علماء المستنصرية ـ ناجي معروف ـ بغداد ١٩٦٥ .

٥ ـ تاريخ الموسيقى العربية ـ هـ . ج . فارمر ـ ترجمة الدكتور حسين نصار ـ القاهرة ١٩٥٦ .

٦ ـ تاريخ الموسيقى والغناء العربي ـ الدكتور محمد محمود سامي حافظ ـ المكتبة الانكلو مصرية .

٧ ـ تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب ـ كمال الدين عبدالرزاق أبن احمد المعروف بابن الفوطي ـ تحقيق مصطفى جواد ـ دمشق ١٩٦٥

٨ ـ الحوادث ـ مجهول المؤلف ـ والذي نشره مصطفى جواد خطأ باسم (الحوادث الجامعة) ونسبه الى ابن الفوطي ـ بغداد ١٣٥١ هـ .

٩ ــ الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير ــ الدكتور محمد صالح داود القزاز ــ النجف ١٩٧١ .

١٠ــ الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ــ الدكتور محمد صالح داود القزاز ــ النجف ١٩٧٠ .

١١ــ الدر النقي في علم الموسيقى ــ احمد بن عبدالرحمن الموصلي ــ تحقيق الشيخ جلال الحنفي ــ بغداد ١٩٦٤ .

١٢ــ رائد الموسيقى العربية ــ عبدالحميد العلوجي ــ بغداد ١٩٦٤ .

١٣ــ رحلة ابن جبير ــ محمد بن احمد بن جبير ــ طبع مصر

١٤ــ رسوم دار الخلافة ــ ابو الحسين هلال بن المحسن الصابي ــ تحقيق ميخائيل عواد ــ بغداد ١٩٦٤

١٥ــ شذرات الذهب في اخبار من ذهب ــ عبدالحميد بن العماد الحنبلي ــ القاهرة ١٣٥١ هـ

١٦ــ طبقات الشافعية ــ جمال الدين عبدالرحيم الاسنوي ــ تحقيق عبدالله الجبوري ــ بغداد ١٣٩٠ هـ

١٧ــ الطبيخ ــ محمد بن الكريم البغدادي ــ تحقيق داود الجلبي ــ الموصل ١٩٣٤

١٨ــ العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ــ الملك الاشرف الغساني ــ تحقيق شاكر محمود عبدالمنعم ــ ١٩٧٥

١٩ــ عيون الانباء في طبقات الاطباء ــ موفق الدين احمد بن ابي اصيبعة ــ بيروت ١٩٥٦ .

٢٠ــ الفخري في الآدب السلطانية ــ ابن الطقطقى ــ بيروت ١٩٦٠

٢١ــ فوات الوفيات ــ محمد بن شاكر بن احمد الكتبي ــ القاهرة ١٩٥١

٢٢ــ فيضانات بغداد في التاريخ ــ الدكتور احمد سوسه ــ بغداد ١٩٦٣

٢٣ــ الكامل في التاريخ ــ ابن الاثير ــ بيروت ١٩٦٦

٢٤ـ مختصر التاريخ ـ ظهير الدين ابن الكازروني ـ تحقيق مصطفى جواد ـ بغداد ١٩٧٠

٢٥ـ معجم الموسيقى العربية ـ الدكتور حسين علي محفوظ ـ بغداد ١٩٦٤

٢٦ـ المنتظم في تاريخ الملوك والامم ـ ابو الفرج بن الجوزي ـ طبع حيدر آباد ١٣٥٨ هـ

٢٧ـ الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان ـ عباس العزاوي المحامي ـ بغداد ١٩٥١

٢٨ـ مؤيد الدين بن العلقمي واسرار سقوط الدولة العباسية ـ محمد الشيخ حسين الساعدي ـ النجف ١٩٧٢

٢٩ـ النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ـ ابن شداد ـ لقاهرة ١٩٦٤

الكتب المخطوطة

٣٠ـ الادوار ـ صفي الدين عبدالمؤمن الارموي ـ نسخة خطية في مكتبة الحاج هاشم الرجب

٣١ـ تاريخ دول الاعيان ـ شهاب الدين بن ابي عدسة ـ مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي برقم ٩٢٠٢ ـ الجزء الخامس

٣٢ـ الرسالة الشرفية ـ صفي الدين عبدالمؤمن الارموي ـ نسخة خطية في مكتبة المتحف العراقي .

٣٣ـ في ماهية الموسيقى واشتقاقه ـ نسخة خطية في مكتبة الاوقاف ببغداد برقم ٥٦٤١

٣٤ـ الميزان في علم الادوار والاوزان ـ نسخة خطية في مكتبة المتحف العراقي برقم ٢٢٧٦ / ١

فهرست الموضوعات

تصميم الغلاف : نضال الاغـا

الخطـــوط : رضا الخطاط

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغـداد
٦٩٩ لســنة ١٩٧٨

دار الحرية للطباعة بغداد ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م


الناشر

الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والفنون

دار الحرية للطباعة - بغداد
١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

السعر : ١٠٠ فلس
توزيع الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان